

من المسرح العالمي

٢٤٨

حُرّية المدينة

تأليف : برايان فرايل

ترجمة وتقديم : خالد حسب ربه

مراجعة : د. طه محمود طه

أول مايو ١٩٩٠

تصدر عن وزارة الإعلام الكويت

٢٤٨



من المسرح العالمي

حرّية المدينة

تأليف : براين فرايل

ترجمة وتقديم : خالد حسب ربه

مراجعة : د. طه محمود طه

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة بقلم المترجم

أسهم الايرلنديون اسهاما جليا فى اثراء الحركة المسرحية الانجليزية منذ القرن السابع عشر وحتى يومنا هذا ، أبرزهم وليم كونجريف (١٦٧٠ – ١٧٢٩) فى القرن السابع عشر والثامن عشر، وريتشارد برينسلى شريدان (١٧٥١ – ١٨١٦) فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وأوسكار وايلد (١٨٥٤ – ١٩٠٠) فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ويكفى ، بالطبع ، ذكر اسم رائد المسرح فى انجلترا فى القرن العشرين ، برنارد شو (١٨٥٦ – ١٩٥٠) .

غير أن تأسيس المسرح الايرلندى عام ١٨٩٩ على يد الشاعر والكاتب المسرحى وليم بتلر بيتس (١٨٦٥ – ١٩٣٩) ، وليدى جريجورى (١٨٥٢ – ١٩٣٢) ، وادوارد مارتن (١٨٥٩ – ١٩٢٤) ، قد مهد الطريق لمسرح ايرلندى جديد ، يكتب عن ايرلندا ، ولها . ومع تأسيس مسرح الآبى (الدير) عام ١٩٠٤ ، أصبح الأمل فى وجود مسرحى ايرلندى حقيقة واقعة ، عندما نشر مؤسسو الحركة الايرلندية الجديدة (المانفستو) رغم انهم كانوا يواجهون تقليدية مسرحية قوية[1] . هذا المسرح الجديد كتب له سنج (١٨٧١ – ١٩٠٩) أعماله المسرحية التى تصور الواقع الايرلندى فى لغه شاعرية ، واحساس شفاف ، وأبرزها **فتى الغرب المدلل**. وجاء شون اوكيسى (١٨٨٤ – ١٩٦٤) ليضيف رصيدا فنيا يعيد الريادة للمسرح الايرلندى فى المسرح العالمى بأعمال من أهمها **جونو والطاووس** ، **والمحراث والنجوم** ، وهى أعمال عبرت عن الفترة العصيبة التى مرت بها ايرلندا ، أما الجيل التالى بعد ذلك فمن أبرزهم المسرحى العالمى الذى ينسب الى الحركة المسرحية الانجليزية والايرلندية ، وهو صامويل بيكيت (١٩٠٦ –) الذى كتب مسرحيات عديدة للمسرح ، والتلفزيون ، والسينما ، والراديو ، باللغتين الانجليزية والفرنسية . وتعتبر مسرحيته فى **انتظار جودو** من أهم مسرحيات القرن العشرين . ومن المنتمين أيضا الى مدرسة المسرح الايرلندى بول فنسنت كارول (١٩٠٠ – ١٩٦٨) ، ودينيس جونستون (١٩٠١ – ١٩) ، وبراندان بيهان (١٩٢٣ – ١٩٦٤) ، وغيرهم ..

---

(1) Ann Suddlemyer, " The Irish School, " **In English Drama,** edited by Stanley Wells (Oxford : Oxford University Press, 1975), p. 248.

أما فى ايرلندا الشمالية ، فقد حدثت حركة موازية ولكن بنتاج أقل ، تأثرت بالنشاط المسرحى فى دبلن خلال هذا القرن ، كما وصفها سام هانابيل فى كتابه **المسرح فى اليستر**. أكثر المسرحيين انتاجا لحركة اليستر المسرحية كان رويثور فورد ماين ، وجيرالد ماكنمارا ، ثم جورج شيلز (١٨٨٦–١٩٤٩) ، وجوزيف توملينى (١٩١١–) ، واللذان أسهما بعدد كبير من المسرحيات لمسرح الآبى ، ومع أعمال سام تومبسون (١٩١٦–١٩٦٥) فى الستينات ، سمع صوت جديد فى الشمال ، ومنذ وفاته فان مسرحيات براين فرايل (١٩٢٩–) تمثل جزءا من أهم ما قدم على خشبة المسرح فى السنوات الأخيرة(٢) .

براين فرايل ، الآن هو واحد من أشهر كتاب ايرلندا الشمالية فى المسرح والقصة القصيرة . ولد فى « اوميــج » بمقاطعة تايرون عام ١٩٢٩ . تلقى تعليمه فى كلية سانت كولميب فى ديرى ، ثم فى كلية سانت جوزيف للمعلمين فى بلفاست . اشتغل بالتدريس فى مدارس ديرى لمدة عشر سنوات قبل أن يدرك أن وظيفته الحقيقية هى الكتابة ، فتخلى عن التدريس عام ١٩٦٠ ، وكرس وقته كله لكتابة القصة القصيرة ، والمسرحية(٣) .

أعمال براين فرايل عديدة فقد صدرت له مجموعتان قصصيتان ، الأولى (١٩٥٩) بعنوان **صحن القبرة** ، والثانية (١٩٦٦) تحت عنوان **الذهب فى البحر**. كتب مسرحيات للراديو: **نوع من الحرية** (١٩٥٨) ، **الى هذا البيت الشاق** (١٩٥٨) ، **فردوس مشكوك فيه** (١٩٦٢) ، **الأعضاء المؤسسون** (١٩٦٤) ، **وغراميات كاس ماكجاير** (١٩٦٦) . ومن أعماله على خشبة المسرح : **العدو فى الداخل** (١٩٦٢) وهى دراسة متعمقة لسانت كولمسايل ، وأول نجاح مسرحي له(٤) . ومسرحية **ثلاثة فتران عميان** (١٩٦٣) ، ومسرحية **فيلادلفيا ها أنا أتيت !** (١٩٦٥) ، والتى عرضت لأول مرة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦٤ على مسرح جايتى ، وقد انتقلت من دبلن لتحقق نجاحا ملحوظا على مسرح البرودواى فى نيويورك(٥) . وايضا **مخطط ماندى** (١٩٧٠) ، فى نيويورك ولندن ، وكريستال

---

(2) Ibid., p.254.
(3) Francis Crowe (ed.) **Irish Short Stories** (London: longman,1980), p. 131
(4) **Ibid.**
(5) **Ibid.**

وفوكس (١٩٦٨) ، **والمحبان** (١٩٧٠) وهما مسرحيتان من ذات الفصل الواحد ، احدهما تحت عنوان **الرابحان** ، والأخرى بعنوان **الخاسران** ، فى نيويورك ولندن ، وقد تم عرضهما فى دبلن ، وعلى خشبة البرودواى فى نيويورك ، على مسرح الفورتشن فى لندن. المحبان فى المسرحية الأولى رابحان لأنهما شابان ، أما فى الثانية فالمحبان خاسران لأنهما تخطيا ربيع العمر. ثم **الجزيرة الرقيقة** فى دبلن (١٩٧١) ، وفى لندن (١٩٧٣) ، **وحرية المدينة** (١٩٧٣) فى دبلن ولندن وشيكاغو، وفى نيويورك (١٩٧٤) ، **والمتطوعون** (١٩٧٥) فى دبلن **ومداوى الايمان** (١٩٧٦) فى نيويورك ، **وترجمات** (١٩٨١). هذه المسرحية الأخيرة قدمتها لأول مرة فرقة فيلد داى المسرحية فى الجليد هول فى ديرى فى ٢٣ سبتمبر ١٩٨٠. وهى الفرقة التى كونها براين فرايل نفسه مع ستيفين رى ، صديقه الذى أهداه المسرحية عندما صدرت عن دار نشر فيبر وفيبر (١٩٨١) ، ثم اعيد طبعها (١٩٨٢) ، **ترجمات** هى أول انتاج لفرقة فرايل ورى ، ثم قدمت المسرحية بعد ذلك فى لندن على مسرح هامبستيد ، كما قدمها المسرح القومى.

لاقت أعمال براين فرايل تقديرا من النقاد ، واعتبروه واحدا من أهم كتاب المسرح المعاصرين فى ايرلندا الشمالية. وقد كتب عنه دى. اى. مى. ماكسويل كتابا نقديا يحمل اسمه : **براين فرايل** ، فى سلسلة باكتل للكتاب الايرلنديين ، لويسبرج ، ١٩٧١. وعلق على مسرحياته نقاد المسرح المعروفون. كتب ناشر مسرحيته **كريستال وفوكس** يقول :

« عرضت مسرحية براين فرايل فى دبلن عام ١٩٦٨. وهى تدور حول عرض ايرلندى متجول ، وفيها كل عناصر الابهار والفكاهة والتعاطفية التى تعتبر جزءا من تقليدية هذا العالم. فوكس ماليركى ، وكريستال -مالك العقار وزوجته- قد صورا فى اطار بديع وحيوى. فهما الى جانب الشخصيات الأخرى فى المسرحية (بابا) ، (ايل سد) و ، (تانيا) و (بدور) — يؤكدون أيضا قدرة براين فرايل على كتابة مسرحية مفعمة بالتعاطفية المؤثرة العميقة والتى تختلف تماما عن الروايات المفرطة فى الشفقة ».

وعن مسرحيته **فيلادلفيا ها أنا أتيت !** التى لاقت نجاحا كبيرا على خشبة المسرح فى ايرلندا وأمريكا ، كتب لينون فى « الجارديان » معلقا :

« شعر بالملل من دورة الحياة الكئيبة فى بوبالبيج مع والده المتحفظ ، ووظيفته المتواضعة فى محل بقالة والده ، مع حبه المحبط لكاتى دوجان ، التى تزوجت شابا يفوقه ثراء ونجاحا ، ومع الانعدام الكامل للمأمول ، والفرص فى استمرارية الحياة فى الوطن ، فان جاريث أودنيل يقبل دعـوة عمته للذهاب الى فيلادلفيـا . غير أنـه لايشعر عشية رحيله بالسعادة لتركه بوبالبيـج . ورغم أحلامه بالنجاح ، والثروة ، وعلاقات الحب التى لاتنتهى ، والتى ستكون من نصيبه بمجرد وصولـه الى أمريكا ، فان كلمة ود واحدة من والده ، أو من كاتى ، كلمـة تفاهم حقيقية من أحد أصدقائه كفيلة بأن تدفعه الى التراجـع ... خمس دقائق بعد ازاحـة الستار عن **فيلادلفيـا ها أنا أتيـت !** لبرايـن فرايـل ، كان واضحا أن هنا على الأقل ، صوتا أصيلا ... ان السيد فرايل يغوص ، بعذوبـة عالية وسخرية بعيدة عن الضجر ، داخل الظروف التى جعلت الأمر حتميا بالنسبة لشاب ايرلندى أن يهـاجر ... لقد أخرج الصوت غير الخاطىء الناس الحقيقيين الذين يتكلمـون مع بعضهم البعض . وفى هذه الحالة فانهم موجودون عـبر لحظة مهمـة فى حياتهم .

وكتب عنها سى . اى . بيجسى :

« ان مسرحية براين فرايـل الجديدة **فيلادلفيـا ، ها أنا أتيـت !** والتى قدمت على مسرح الفيستفيال ، فى دبلن عـام ١٩٦٤ ، تتعلق صوريا بضغوط تدفـع شابا ايرلنديا الى الشعور باليأس من ظروفـه ، ويفكر مليا فى الهجرة . ان جاريث أودنيل ، والذى فشـل فى حبه ، يرى نفسه قد وقع فى فخ وظيفة دنيا فى متجر والده ، وقد انقطع عن أى عاطفة حقيقية ، فيستجيب لخاطرة جديدة فى أمريكا بحماس واضح ... اننا نرى وجهى جاريث أودنيل ، العام والخاص ، واللذين يقوم باداتهمـا بالفعل ممثلان مختلفان . ومعظم فكاهـة المسرحية نابعة من التفاعل المتبادل بين الاثنين ، كما تنبع من التعليقات التى تقوم بها الشخصية الذاتية غير المرئية عن الشخصيات الأخرى . لكن هذا تغلفـه لمسة عاطفية ، تلك اللمسـة التى تميز كلا من قصصه القصيرة ، ومسرحياته » .

وعن مسرحية ترجمات ، كتب الناشر يقول :

« تجري احداث هذه المسرحية فى الأيام الأخيرة من أغسطس ١٩٣٣ فى مدرسة من الدرجة الثالثة فى بلدة بيل بيج ، وهى مجتمع يتحدث الايرلندية فى مقاطعة دونجال . القائمون بالتدريس يشكلون قسما متباينا من المجتمع المحلى ، من المزارع الشاب شبه المتعلم ، الى العجوز المتعدد اللغات والذى علم نفسه بنفسه ، ويقرأ ويقتبس هومير فى النص الأصلى . وعلى مقربة ، هناك معسكر ميدانى وصلت اليه مؤخرا تجريدة عسكرية من المهندسين الملكيين ، تقوم بالنيابة عن الجيش والحكومة البريطانية فى عمل أول مسح للمعدات . وللأغراض الخرائطية[٦] ، فلابد من أن تسجل أسماء المكان الغيلى[٧] المحلى وتتقحر[٨] — أو تترجم — الى الانجليزية . فى دراسة تأثيرات هذه العملية على حياة مجموعة صغيرة من الناس ، ايرلنديين وانجليز ، فان براين فرايسل يكشف ، بمهارة ، التأثيرات الذاتية والحضارية بعيدة الأثر وغير المتوقعة لحدث يبدو للوهلة الأولى انه ادارى بحت ولا يسبب ضررا .

وبينما يظل مخلصا لذوات وعلاقات اولئك الناس فى ذلك الوقت ، فانه يقدم عرضا ثريا موحيا عن التاريخ الأيرلندى — الانجليزى » .

وعن نفس المسرحية كتب مايكل كوفينى فى « الفاينتشال تايمز » يقول :

« ليست فقط أحسن مسرحية رأيتها طيلة العام ، ولكن أكثر مسرحية ايرلندية تأثيرا ، وأكثرها اصداء ، وأكثرها أهمية » .

وقال عنها اريفنج وارديل ، فى التايمز ، ان موضوعها « موضوع محدد ، هادىء ، ويعكس مأساة بلده » . وقد حازت هذه المسرحية على جائزة ايوارت — بيجز التذكارية لعام ١٩٨١ ، وجائزة أحسن مسرحية لعام ١٩٨١ من مجلة دراما ، ومجلة مسرحيات وممثلون : كما فازت بجائزة هارف . كتب بيجسبى عن فرايل يقول :

---

(٦) الخرائطية : علم أو فن رسم الخرائط .

(٧) غيلى : متعلق بالغيليين أو لغتهم . والغيلية هى لغة السلتيين فى ايرلندا .

(٨) ينقل حروف لغة الى حروف لغة أخرى .

« مذكرا فى بعض الأوجه بأعمال وليم سوريان وثورنتون وايلدر ، فان مسرحياته تتسم بلهفة حلوة مرة ، حيث ترسم الشجن ، وكذلك الجهود المؤثرة للانسان ليوائم استجاباته العاطفية تجاه عالم يبدو أنه مصمم لاحباط رغبته فى الجمال والسعادة غير العسيرة . ان فرايل يقتضى أثر هذا الصراع غير المتكافىء من حب المراهقة الحيوى فى **المحبان** ، حيث يغرق فيه شابان ، الى الخلوة اليائسة لوهم عجوز خاب أملها فى حياة لاتتناسب مطلقا وروعة أحلامها فى **غراميات كاس ماكجاير** . وسواء كان فوكس ، فى **كريستال وفوكس** ، الذى يسعى بانفعال حاد لاسترجاع بساطة وسعادة شبابه على حساب اولئك الذين يتطلعون اليه للمساعدة والتشجيع فى الحاضر ، أوكان جاريث أودنيل ، الذى يحاول أن يذكر والده بلحظة مودة مشتركة فى الماضى ، والتى ربما أو ربما لا ، تكون حدثت ، فنحن نواجه بأفراد ينكشون فى رماد حياتهم سعيا وراء جذوة ، والتى يمكن أن تذرى فى اللهب . كون أنه ينجح فى أن يقوى الاحساس المثير للشفقة لأقصى حد دون أن يسقط فى الحد الأسوأ للعاطفية ، فهذا هو التزامه ؛ كون أن عمله فى أفضله يطمح الى غنائية شعرية ومع ذلك ، يقف عند حد الابتذال فهذا دليل شعوره الحقيق للغة وحساسيته للنغمة والايقاع — حس بالمزج اللحنى ، والذى هو عاطفى مثلما هو لفظى .

ان فكاهة فرايل ليست شريرة على الاطلاق . رغم انها فى بعض الأحيان تعرى اللاكفاية البشرية ، والخداع ، ورغم انها تصل الى حافة هجائية بديعة ، انها أخيرا اشارة الى عدم انهزامية الروح الانسانية ، أكثر منها وسيلة للاستهزاء بالطموحات الذاتية . بالنسبة للشخصيات أنفسهم ، فان نكتة تصبح حيلة دفاعية ، دون أن تفقد شجاعتها ووقارها . ان تجربة الحياة ، التى هى أحيانا مريرة ومؤلمة ، عادة ماتصنف فى اطار الاعتقاد بأن الزمن يداوى كما يجرح . ان الفوضى الوحشية للمشهد السياسى فى شمال ايرلندا ، مع ذلك ، كما تمسرح فى **حرية المدينة** ، يبدو أنه يهدد اعتقاده المبكر بأن الأوهام ربما تقوى مثلما تدمر ، أن كل الخبرة تمتص أخيرا لتصبح جزءا من الواقع الحلو—المر للوجود الانسانى » .

أما مسرحية حرية المدينة فقد عرضت أول مرة على مسرح الآبي في دبلن في ٢٠ فبراير ١٩٧٣ ، وفي عرض متزامن في لندن في ٢٧ فبراير ١٩٧٣ على مسرح الرويال كورت . ونشرت لأول مرة عام ١٩٧٣ في منشورات فيبر وفيبر . تدور المسرحية حول مسيرة غير مصرح بها للحقوق المدنية يتم تفريقها من قبل القوات البريطانية باستخدام الغاز المسيل للدموع ، والرصاص المطاطي . من بين المتظاهرين شابان وامرأة في منتصف العمر ، هي أم لاحد عشر طفلا وزوجة لرجل مريض بالدرن ، يلجأون الى قاعة استقبال العمدة في التاون هول . تسرى اشاعة بأن عددهم أربعون متمردا ، وانهم مسلحون ، فيتم حصارهم بالدبابات والمدرعات . وعندما يستسلمون وفقا للتعليمات الموجهة اليهم من مكبر للصوت ، رافعين أيديهم فوق رؤوسهم ، يتم اطلاق النار عليهم .

موضوع المسرحية ، والتي تجرى احداثها في بلدة فرايل ، هو موضوع ، كما هو واضح من الملخص الذى ذكرناه آنفا ، يتعلق بقضايا تنبع من الصراع الحالي في ايرلندا الشمالية . غير أن فرايل ، ببراعة شديدة ، يخرج من المباشرة السياسية ليقدم لنا عملا مسرحيا ذا عناصر فنية بالدرجة الأولى . كتب عنها جاري أوكنر في « الفاينننشال تايمز » يقول :

> « لقد كتب براين فرايل ، كما اعتقد ، أفضل مسرحية ايرلندية شمالية يتم عرضها حتى الآن ، منذ بداية الاضطرابات الحالية ؛ وهي أيضا أقل المسرحيات صبغة بالدعائية أو التبسيط اللذين يمكن أن يكون مثل هذا الموضوع عرضة لهما ، وذلك لرغبة الكاتب المسرحي في معالجة موضوع معاصر وملح » .

ولذا ، فان ذكرا تاريخيا سريعا للوضع السياسي في ايرلندا الشمالية ، ربما ساعد على فهم أكثر للمسرحية[٩] . بعد هزيمة ستيوارت بارنيل ، الزعيم الوطني الايرلندي في نضاله من أجل استقلال ايرلندا ، ووفاته عام ١٨٩١ ، كانت ايرلندا تعيش حالة تردى اقتصادى وسياسى . أكثر من تأثر بهذا الوضع هو الطبقة العاملة حيث عاش أفرادها في مساكن حقيرة يعشش فيها المرض والفقر . هذا البؤس انعكس في الاعمال المسرحية — ولا سيما مسرحيات أوكيسى الذى كان هو نفسه ضحية له . في عام

---

(٩) انظر د. أحمد السيد النادى : مقدمة القمر في النهر الأصفر — المسرح العالمي — الكويت — العدد ١٠٦ ، ١٩٧٨ .

١٩١٣ ، كادت دبلن أن تشهد حربا أهلية ، فدعا جورج الخامس ، ملك بريطانيا وقتها الخصمين زعيم جماعة المتطوعين الايرلنديين وزعيم متطوعي الستر ، الى اجتماع ، غير انه لم يسفر عن اتفاق . ثم قامت الحرب العالمية الأولى وتوقف النشاط السياسي . فى عام ١٩١٦ نشبت الحرب المعروفة بثورة الفصح فى دبلن . وفى عام ١٩٢١ نالت ايرلندا استقلالها وقامت دولة ايرلندا فى الجنوب ، وذلك بناء على معاهدة ١٩٢١ بين بريطانيا ومندوبى ايرلندا ، والتى نصت على اقامة دولة ايرلندية تمنح حكما ذاتيا تحت التاج البريطانى ، واذا رغبت الست مقاطعات الشمالية فى الانفصال عن الدولة الجديدة فلها الحق فى ذلك . وكانت مقاطعة الستر تعارض دائما قيام وحدة بين شمال ايرلندا وجنوبها ، وذلك لخوفها من أن تتحكم الكنيسة الكاثوليكية فيهم وهم الغالبية البروتستانتية . أما حزب الشين فين ، أى نحن وحدنا ، والذى خاض قتالا داميا ضد الانجليز عامي ١٩٢٠ — ١٩٢١ ، وهو يعرف الآن باسم الجيش الايرلندى السرى ، فهو من الجانب الآخر ، يرفض السيطرة البريطانية على الشمال الأيرلندى .

ان مسرحية حرية المدينة ، التى تتعرض للصراع الدائر فى ايرلندا الشمالية ، تثير بالدرجة الأولى الوضع المعيشى لأولئك الأشخاص الذين يعيشون فى مجتمع «الجيتو» ويكشفون عن أنفسهم وأحوالهم فى اسلوب شيق لاذع . استطاع فرايل أن يتحاشى الدعائية الفجة ليصور لنا تصويرا محسوسا ، وغير مباشر ، الأوضاع الحياتية لثلاثة مواطنين عاديين . منهم من يعانى من البطالة ، ولا يجد عملا يقتات من ورائه . منهم من لا يعرف له أسرة ، ويتجول من مكان لمكان ، ومنهم المرأة الفقيرة الأم لاحد عشر طفلا التى ترعى أطفالها وزوجها المريض بالصدر ، وهى تعمل وتكد وتسكن بيتا حقيرا مكونا من غرفتين فقط هى وأسرتها . ان وضع هؤلاء الافراد ازاء المجتمع المسيطر ليس مقصورا عليهم ، وانما يمتد الى قطاع اجتماعى أوسع ، كما يقول د . دودز فى المسرحية :

> «ان مشاكلهم هى أيضا مشاكل الفقراء فى تجمعات الجيتو فى نيويورك ، ولندن ، وباريس ، ودبلن — فى الحقيقة فى كل انحاء العالم الغربى» .

ان ليللى ، الشخصية النسائية الوحيدة فى المسرحية ، والتى تنتمى الى مجتمع الجيتو ، فهى تقوم بتنظيف البيوت ، لتنفق على أسرتها ، تكشف لنا وضعا معيشيا يائسا ، لاتحياه هى وحدها ، وانما هى جزء من كل ، فهى تقول :

« تعرف ، لو كان اليوم هو الأحد ، كنت أنا نفسي أخذت الدش . الأحد هو يومي . كل واحد منا له يوم للاستحمام عند الجدة – أم الرئيس . هي عاملة لنا جدول مواعيد معلق على جدار المطبخ . واذا ضيعت ليلتك ، تخسر دورك » .

هذه المرأة التي تنتظرها اسرتها لعمل الشاى ، بينما هي محاصرة داخل الجيلد هول ، والتي تخفق حتى في التعرف على جهاز الراديو، لايشعر بها أحد من ذوي السلطة . عندما يدلي الشرطي ببيانات عنها الى القاضي بقوله :

كانت تعيش مع أسرتها في بيت حقير... مخزن ثم تحول الى مسكن من ٨ شقق . يرد عليه القاضي :

نحن لانقوم ببحث اجتماعي ، يا كونستوبل .

ان براين فرايل يعرض لنا مفارقة ساخرة من وجهة النظر الأحادية التي يعكسها كل من القاضي والقس ، تجاه الأشخاص الثلاثة . فالقاضي من ناحيته يميل الى الاقتناع بأنهم ارهابيون ، وهي وجهة نظر القانون الصارم الذي لايعرف الا الطاعة للنظام . أما القس فيراهم قد ضحوا بأنفسهم في سبيل معتقداتهم ، ومن اجل مواطنيهم ، وعلى أمل أن يرث الآخرون طريقة كريمة للعيش . المفارقة انهم لا هؤلاء ولا أولئك ، وانما هم قد خرجوا في المظاهرة تنفيسا عن وضعهم الاجتماعي المتردي . وهنا يأتي دور د. دودز الذي يلقي الضوء على الوضع السياأقتصادي[1] لأمثالهم من ساكني تجمعات الفقر .

ان فرايل لا يتدخل بشكل مباشر في ابداء وجهة نظر قاطعة ، لكنه يترك لذكاء قارئه أن يقرأ موقفه من بين السطور. فالقاضي ، مثلا ، يقول في حديثه (الموجه الى المشاهدين) :

« هذه ، أساسا ، محكمة لتقصي الحقائق . فاهتمامنا ، واهتمامنا الوحيد ،

---

(١) هذه الكلمة من تركيبنا اللغوي ، ونقصد بها السياسي – الاقتصادي ، وقد رأينا أن التعبير الانجليزي socio - economic يمكن نقله أيضا الى العربية بهذا الشكل .

يتعلق بتلك الفترة ، الزمنية التي جاء فيها هؤلاء الأشخاص الثلاثة معا ، واحتلوا ممتلكات مبنى مدنى ، وتحدوا عمدا قوات الأمن . ان الحقائق التي سوف نجمعها فى الأيام القادمة ، ربما تبين أن المتوفين كانوا ارهابيين عتاة ، خططوا لاحتلال « الجيلدهول » قبل حوادث ١٠ فبراير بأسابيع ، أو ان الحقائق ربما تظهر ان المخطط المضلل قد خطر لهم فى نفس اليوم ، بينما كانوا يستمعون الى الخطب الثورية » .

اذن ، الاهتمام الأساسى للقاضي ليس الوصول الى العدل المبنى على الحقيقة ، اذ انه يفترض مسبقا أن الأشخاص الثلاثة قد « احتلوا » الجيلد هول ، و « تحدوا عمدا » قوات الأمن ، وانهم ربما كانوا « ارهابيين عتاة » ، ثم « المخطط المضلل » و « الخطب الثورية » كلها كانت تتوجه ناحية رأى غير معلن بشكل مباشر ، لابد أن يؤدى الى أن تكون النتائج التي يخلص اليها القاضى فى النهاية غير مختلفة كثيرا عن هذا الرأى الافتراضى المسبق . ان موقف القاضى ، علاوة على ما دار بينه وبين الشهود فى المسرحية ، قد انعكس بشكل بعيد تماما عن المباشرة ، كاشفا ان السلطة انحيازية ، ولا تقف فى صف الفقراء ، كما قال سكنر : ان الفقراء دائما « يحملون فوق طاقتهم » .

أحد سكان « الجيتو » يبلغ المعلق التلفزيونى بأنهم يحتفلون « بسقوط الباستيل » — أى الجيلد هول — اذن هى أمنية التحرر من القيد السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، وهى حلم الحرية والاخاء والمساواة . ولكن هل هو فعلا سقوط للباستيل؟ ان الثمن الذى يدفعه سكنر ومايكل وليللى ، هو ثمن باهظ ، ولكن تبقى قضية : وماذا بعد؟ ان القاضى يعلن صراحة :

> لابد ان اوضح انني قد سمحت للجنود ورجال البوليس ، ان يدلوا بشهاداتهم تحت أسماء مستعارة ، وذلك حتى لا يعرضوا أنفسهم لخطر الانتقام .

فهؤلاء الثلاثة لا يختلفون ، فى نظر القاضى عن متطرفى الشين فين ، الجيش الجمهورى السرى ، الذى تعامله السلطات البريطانية على أنه محظور وارهابى . ان العدل محك تساؤل اذا ما كانت مهمة القاضى ليست « محكمة عدل » وانما « مجلس للتحقيق القضائى ، معين من قبل الحكومة ، مهمته الوحيدة تكوين وجهة نظر موضوعية للأحداث » .

وينتقل فرايل الى الانتقادية غير المباشرة للمجلس البلدى الذى هو فى واد ، والمواطنون من الطبقة العاملة فى واد آخر. ان سكنر فى خفة دم هجائية ، يؤدى دور العمدة فى اجتماع وهمى داخل الجيلد هول ، بعد أن يخرج الأوراق من مكتب العمدة ويبعثرها أمامه ، ويطرح الموضوعات التى تشغل بال أعضاء المجلس ، ما بين طلب لزيادة التبرع السنوى للجمعية الملكية للرفق بالحيوان الى دهان جميع مبانى البلدية فى المدينة «بالقرنفلى اللميع» ، الى منحة لنادى الريجبى لزيادة رقعة ملعبه ، الى اخلاء القاعة الرئيسية لتعرض فيها جمعية ازهار ديرى معرضها السنوى ، ولا شىء عن الفقراء والمباءات التى يعانون فيها المرض والفقر. ان ليللى تسكن مع اسرتها فى مخزن حقير تحول الى بيت يشاركها فيه نماذج من البائسين اجتماعيا واقتصاديا ، فى حين ان الجيلد هول تمثل نقيضا صارخا ، حيث أن صنابير المياه مصنوعة من الذهب على شكل رؤوس سمكية . سكنر فى سخرية لاذعة يخاطب ليللى :

سكنر : أليس عندك حنفيات ذهب ، وجدران مقرمدة ؟

ليللى : هناك حنفية واحدة ، وتواليت واحد تحت فى . الفناء — وهما لـ ٨ عائلات .

ان مسرحية حرية المدينة ليست عملا سياسيا مباشرا ، وانما هى عمل فنى يقوم على عناصر فنية ألف بينها كاتب المسرحية ببراعة لتكون اداته فى الوصول الى المشاهد والتأثير فيه بعيدا عن فجاجة الدعائية .

اذن ، ننتقل الى التكنيك الذى استخدمه فرايل فى المسرحية ، ونبدأ بطريقته فى رسم الشخصيات . لقد وفق فرايل فى كشفه للشخصيات اذ تم ذلك عن طريق «سين وجيم» بين القاضى والشرطى عن هؤلاء الثلاثة الموجودين داخل الجيلد هول . من سؤال القاضى وجواب الشرطى نعرف أن مايكل جوزيف أعزب ، عاطل ، ليس له سكن خاص به وانما يعيش مع والديه ، وان عمره اثنان وعشرون عاما . أما ليللى دورتى فهى متزوجة ، عمرها ثلاثة وأربعون عاما ، ربة بيت ، وفى نفس الوقت تعمل عاملة تنظيف ، وتعيش مع أسرتها فى بيت حقير كان مخزنا من قبل . أما سكنر واسمه الحقيق أدريان كاسيمير فيتزجيرالد ، البالغ من العمر واحدا وعشرين عاما فهو أعزب ، بلا عنوان ثابت ، ليس له أقارب ، وهو عاطل ، وقد تورط فى بعض المشاكل كالسرقات الصغيرة والسلوك الفوضوى كما قال عنه الشرطى .

هذه الشخصيات الثلاث هى الشخصيات المحورية فى المسرحية . وهناك شخصيات أخرى تكشف عن نفسها بشكل مباشر لأنها تؤدى دورا مسرحيا معينا

لاغير. وهذا بالطبع مقصود، وليس عيبا من الكاتب المسرحي، فالقاضي ود. دودز وبروفسور كابيلي و د. وينبورن والشرطي، كل منهم يؤدي دورا أحاديا عن عمد لأن الحدث المسرحي لايحتمل منهم أكثر من هذا ولا يتطلبه. وهذا في الوقت ذاته يسخر لانارة كافة الزوايا المحيطة بالشخصيات المحورية الثلاث: مايكل وليللي وسكنر. غير أن فرايل لايعطينا عرضا للشخصيات دفعة واحدة، وانما مع تطور الحدث، يكشف لنا جوانب اخرى منهم وعنهم، فنعرف ماضي مايكل وسكنر، ونعرف عن أولاد ليللي ووضعها الاجتماعي، كل ذلك يتم في اطار مسرحي غير مباشر ومن خلال اتصال وثيق بالحدث المسرحي. فنتأثر بالخلفية الاجتماعية والانسانية التي تقدمها لنا ليللي عن وضعها المعيشي من خلال حكاياتها عن أسرتها وجيرانها، بل وعن المسيرات التي تشترك فيها مما يضيف خيوطا جديدة تخدم موضوع المسرحية ذاته، كحكاية ليللي عن الشاب المفلوق الرأس الذي ضربه البوليس في المسيرة فانفلقت رأسه مثل برتقالة، وفار الدم منها في الحال. ومن حكاياها الشيقة التي هي أقرب الى النكتة اللاذعة، حكايتها عن الملاكم الذي سرق لوري البنزين، فلما طارده البوليس، قال لهم انه فقط يبحث عن ملاية لولاعته. وعن ابنها الذي وجد (حلة) على قضبان السكك الحديدية فلبسها على رأسه كأنها قبعة، فانغرزت فيها، وظلت محشورة في رأسه يومين، وحكاياها عن زوجها الذي تسميه بالرئيس – وهو بالفعل شخصية من شخصيات المسرحية رغم انه لايظهر مطلقا على خشبة المسرح!

ان فرايل يعرض لنا صراعا يدور بين شخصيتي مايكل وسكنر، وهو، في الحقيقة، يبتعد، عن طريق هذا الصراع، عن الوقوع في فخ الدعائية واعلان موقف سياسي واضح، رغم أن هذا الصراع بين الشخصيتين هو تدعيم لموقفه السياسي غير المعلن! فسكنر ذو اللسان اللاذع الساخر، كما يتبين من مثل هذا الحديث:

سكنر : الم يخبرك أحد أن المسيرة كانت ممنوعة؟
ليللي : كنت أعرف أن المسيرة ممنوعة.
سكنر : هل كنت تتوقعين أن يقدموا لك الشاي في نهايتها؟

سكنر هذا هو الولد الذي لف ودار، ويفهم كيف تتعامل قوات الأمن أكثر مما يفهم مايكل، صاحب الدعوة السلمية المسالمة كما يدل على ذلك اقتباسه لمقولة غاندي وغيرها من تعليقاته المنفعلة ضد سكنر الذي ينظر مايكل اليه على انه «ثوري». من هنا، فان نهاية الأفراد الثلاثة المأساوية قد تكون ردا واضحا من

فرايل على أصحاب الرأى المايكلى. ان مايكل أكثر الثلاثـة كرها للعنف، وثقة فى أخلاقيـة السلطة، ونقمـة على سكـنر :

مايكل : لابد وان ابن حرام قد فعل شيئا ليضايقهم – هتف بشىء، رمى حجرا، أحرق شيئا. همجى ملعون! واحد مثلك، يا سكـنر! لأن اولاد الحرام أمثالك، الملاعين، هم الذين يركعوننا جميعا على ركبنا اللعينـة!

اذن المفارقـة تصبح مأساوية عندما تشك السلطات فى مايكل، بعد اجراء الفحوصات على الجثث الثلاث، فى أنـه أكـثر الثلاثة موضعا للريب وفى أنه الذى أطلق النار، وتتركب المفارقة عندما يتضح أن مايكل أكثر الثلاثة اصابة بالطلقات النارية التى لايستطيع الباثولوجى أن يحددها أهى ١٢ أو ١٣ أو ١٤ طلقـة. عندما يمزح سكـنر، مستفزا مايكل، بقـوله :

أليـس الواجب أن نخرج، ونحن نغنى « سننتصر ».

يرد عليه مايكـل منفعـلا :

أنـا أحذرك، ياسكـنر!

ان فرايل يكشف لنا درجة التباين عند شخصية من الشخصيات الثلاث ازاء ابهامية موقفهم تجاه السلطة من خلال الحوارات التى تدور بينهم قبل اطلاق النار عليهم. لكن التعليق الذى يصدر عنهم، بعد موتهم المفترض، يعمق هذا الكشف، ويحدد اطاره النهائى :

مايكل : كنت أعرف انهم لن يفتحوا النار. اطلاق النار يتم وفق نظام مختلف جدا للأشياء ثم انهمرت النيران على الجليد هول، وأدركت ان غلطة فظيعة قد وقعت.

ليـلى : فى اللحظة التى وضعنا فيها قدمنا خارج الباب الأمامى، عرفت اننى سأموت، بالغريزة، بالطريقة التى يعرف بها الحيوان.

سكـنر : بعد فترة قصيرة من معرفتى اننا فى قاعـة استقبال العمـدة، ادركت انـه لابد من دفـع ثمـن.

اذن مايكل ، حتى لحظة وفاته ، كان أكثر ايهاما تجاه ما تدبره لهم سلطة بينما ليللي أقل منه ايهامية ، في حين ان سكنر اقلهم ايهامية ، ن هو بمنجاة منها . ان حرية المدينة تنتمي الى عالم الكشف المستمر للشخصيات والأفكار ، أكثر من انتمائها الى الحدوته وتطورها ، اذ لاتكتمل الصورة المرسومة للشخصية الا بانتهاء الحدث الدرامي ذاته . ومن هنا ، فان الشخصية هي أساس النص ، هي التي توجهه ، لاتتوجه به ، وهذا أيضا ، خروج عن العباءة الأرسطية .

المسرحية فصلان فقط : الفصل الأول يحتل المساحة الأطول ، بينما الثاني أقصر بوضوح . هذه التقسيمة تختلف عن التقسيمة الكلاسيكية ذات الخمسة فصول ، والتي رأى هوارس ، الكاتب والناقد الروماني ، انها ضرورية لكتابة المسرحية . وهي تختلف عن التقسيمة الحديثة للمسرحية ، فى معظمها ، حيث تتكون من ثلاثة فصول ، علاوة على مسرحية الفصل الواحد . ولذلك فنحن لانتوقع من فرايل بنائية درامية تقليدية تقوم على البداية والوسط والنهاية كما جاء في فن الشعر لأرسطو فى حرية المدينة ، ليس سهلا أن نضع يدنا على بداية محددة أو نهاية محددة . الحبكة الدرامية عنده لاتقوم على أن كل حادثة تؤدي الى ترقب جديد حتى ينتهي بما يسميه د. جونسون « نهاية الترقب » . تبدأ المسرحية من حيث يمكن أن ينتهى الحدث الدرامي ، فالترقب اذن مفروغ منه . قضية التوتر والترقب ليست هي العامل الحاسم عند الكاتب . ذلك لأن الحبكة لاتقوم على التسلسل المنطقى لمجموعة من الحوادث ، فالتسلسل المنطقى مركب أكثر منه بسيط يعتمد على الوراء – الأمام الوراء . ولذلك فان حرية المدينة تتطلب نوعية خاصة من المسارح المجهزة تقنيا .

المسرحية تقوم على بنائية معقدة تعتمد على الفلاش باك (الترجيع الفنى) والذى يحتاج الى تقنية مسرحية عالية . واذا كان مارتن أسلن قد عاب على وول سوينكا ، المسرحي الافريقي الحائز على جائزة نوبل ١٩٨٦ ، عاب عليه استخدام الفلاش باك مستدركا بأنه عيب ثانوى ازاء عبقرية سوينكا ، فاننا ، أيضا ، لا نراه عيبا فى حد ذاته اذا ما أحسن استخدامه .

وتعتمد **حرية المدينة** أيضا على مستويين– المسرح العلوى، والمسرح السفلى. وتشكل الاضاءة عنصرا مهما من عناصر العرض المسرحى، وكذلك الصوت. ومن ثم فهى مسرحية للعرض فوق خشبة المسرح قبل أن تكون عملا ادبيا، ولذلك فان المسرحية لم تصدر فى كتاب ثم تمسرحت، وانما العكس هو الذى حدث. ولكن رغم أن **حرية المدينة** مسرحية أسبقية التمثيل، الا أنها تجمع بين متعة العرض المسرحى ومتعة القراءة.

يمثل الارشاد المسرحى جزءا هاما فى مسرح براين فرايل، ليس فى **حرية المدينة** فقط، وانما فى أعماله الأخرى كمسرحيتى **فيلادلفيا ها أنا أتيت!** و**ترجمات**. فهو يستخدمه بتوسع يذكرنا ببرنارد شو. وفى هذا تسهيل، وان كان فيه تحديدا، لمخرج العرض. لكنه يضمن للمؤلف تهيئة الجو الذى يريده لمسرحة عمله وفق الرؤية التى يراها خادمة له. فرايل يقدم عرضا لأوصاف الشخصيات، ديكور المكان، الدخول والخروج من زوايا المسرح، وكذلك وصف لمستويى المسرح. تبدأ المسرحية بوصف مستفيض لقاعة الاستقبال ذات الطراز القوطى الحديث، الذى لا يوحى بالتفاؤل، ذلك أن «الاثاث صلد وعتيق، والجو العام تخيم عليه رصانة وكآبة» واعلى السقف الاسوار مزودة بشرفات مفرجة. هذا جو قابض، غير مريح. يضاف الى ذلك المصور الذى ينير الضوء الساطع لفلاشه المسرح مع كل لقطة، وبشكل يبعث على الخوف، ثم «عويل سرينة اسعاف»، ودخول «رجل بوليس يرتدى نظارة سوداء». كل هذا يهيء المتفرج الى موضوع المسرحية.

ان فرايل يثرى العرض المسرحى فى **حرية المدينة** بالغناء (المغنى الشعبى، وليللى، وسكنر) فهناك ثلاث أغنيات[١١]، علاوة على الموسيقى مابين موسيقى الفالس والموسيقى الجنائزية الكلاسيكية لباخ، والمارش العسكرى. وهناك الرقص.

اللغة فى **حرية المدينة** من أهم مكونات المسرحية، فهى النص. ان المتفرج، طيلة مدة العرض المسرحى، لابد وأن يكون انتباهه مشدودا غير متقطع للغة المنتقاة المكثفة لكاتب يجيد اختيار الكلمة.

اللغة فى المسرحية مستويان، للمستوى الأول الذى يتحدث به القاضى، ود.

---

(١١) هذه الاغنيات الثلاث ادخلها فرايل فى النص بعد استئذانه دار نشر فرانسيس داى وهنتر المحدودة، وهى مقتطفات من أغنيات: «ليللى لاجونا»، «الرجل الذى الحطم البنك»، و«من أين لك بهذه القبعة».

وينبورن وبروفسور كايلي ود. دودز وهو مستوى اللغة المثقفة ، والمستوى الثانى هو مستوى لغة الحديث اليومى غير المثقفة والتى يتحدث بها مايكل ، وسكنر ، وليللى ، الشخصيات المحورية الثلاث فى المسرحية. ان مستويات الحوار موفقة جدا بين اسلوب الحوار اليومى للثلاثة الذين يعبرون عن أنفسهم فى تلقائية شديدة ويدخلون ، من خلال الحوار ، فى تفصيلات حياتية يومية بعيدا عن جو الوطنية المباشرة والخطابة الفجة ، ومع ذلك فقد نوع فرايل مستوى الحوار فيما بينهم وفقا لتفاوت مابينهم من درجة التعلم وحدة اللسان .

ان فرايل قد خرج على الايهام المسرحى ، فما يجرى على المسرح لا يجرى فعلا ، أى أنه يقول لجمهوره ، بشكل غير مباشر ، انهم يشاهدون عرضا مسرحيا ، لا يهدف الى استغراقهم فيه باعتباره حدثا فعليا يتم فى مكان وزمن العرض. بمعنى آخر فرايل فى حرية المدينة ليس هيتشكوكيا ! الايهام المسرحى مرفوض. الزمن لم تعدله أبعاده المختلفة ، وانما صارت اللحظة الماضية ، والآنية ، والمستقبلية ، مجتمعة فى آن واحد. من هنا ، فان القول بأن «المسرحية تبقى فى حالة من التوازن غير التام حتى اكتمال الحدث ، وان أبسط وأدل مثال على هذا التوتر هو الترقب»[١٢] . لاينطبق على مسرحية فرايل هذه ، فالمسرحية تبدأ وجثث ثلاث ممددة فى تنافر عبر مقدمة المسرح ، والمسرح مظلم فيما عدا الساحة المضاءة بالأزرق. وهى تنتهى بما يشبه هذه البداية ، اذن ، فالترقب ليس قائما على التوتر المبنى على اكتمال الحدث. ورغم ان مسرحية فرايل خارجة على الايهام المسرحى ، الا انها تلتزم بوحدتى الزمان والمكان ، أما وحدة الحدث فهى وحدة موجودة فعلا ولكنها وحدة معقدة غير متسلسلة منطقيا . ولكن هذا لايعنى التزاما عمديا بهذه الوحدات كما عند النيو - كلاسيكيين .

إن أردنا تصنيف المسرحية ، نقول بأنها مأساة ، رغم ان عملية التصنيف ليست بالأمر اليسير فى الدراما الحديثة ، ذلك ان المسرحية فى حد ذاتها مأساة ثلاثة اشخاص اطلقت عليهم النار فجأة ، وبلا مبرر حقيق ، ودون وقفة مع النفس. ورغم ان المسرحية تحتوى على كم واضح من المواقف اللاذعة الأقرب الى الكوميديا منها الى التراجيديا ، فهى ليست ميلودراما. فالضحكة فيها أقرب الى القرصة اللاسعة ، كما يقول فيليب سدنى فى مقالته «دفاع عن الشعر». وهى المأساة بمفهومها المعاصر ، لا بالمفهوم الاغريقى حيث تكمن مأساة الانسان فى صراعه مع القدر ، وهزيمته كما حدث

---

(12) S. W. Dawson, **Drama and the Dramatic** (London : Methuen & Co. Ltd., 1970), p. 30.

فى اوديب مثلا ، ولا بالمفهوم الشكسبيرى حيث المأساة كامنة فى صراع رجل الطبقة العليا مع عيوبه النفسية او الفكرية أو العاطفية ، كما نراها فى ماكبث أو لير ، وانما هى مأساة الانسان المعاصر البسيط ، لا البطل المأسوى بالمواصفات الكلاسيكية ، ازاء احتياجاته المعنوية والبيئية فى عصر اتسم فيه الوجود الذاتى للانسان بالاغتراب والقلق ؛ فصراعه مع نفسه ومع مجتمعه الذى يحيط به من الجهات الأربع .

فى الحقيقة ، ان عرض المسرحية المتزامن فى دبلن ولندن ، ونجاحها فى العرضين هو حكم جماهيرى عليها ، وهى تستحق هذا الحكم لصالحها . كما ان عرض الكاتب لموضوع قومى ، والتعبير عن هموم وقضايا مواطنيه بهذا الاسلوب البعيد تماما عن الدعائية الفجة ، والمتعمق فى تحليل الظروف المعيشية باسلوب قارص ولاذع ، هو تتويج لهذا العمل فى قوله كلمة مؤثرة وفاعلة الى الملتقى البريطانى ومن الجنسيات الأخرى قبل الملتقى الأيرلندى .



المراجـــع

(١) مسرحيات براين فرايل : **حرية المدينة ، فيلادلفيا ، ها أنـ أتيــت ! وترجمــات .**

(٢) د. أحمــد السيد النادي : **مقدمة القمر فى النهر الأصفر**، المسرح العالمى ، الكويت العدد ١٠٦ ، ١٩٧٨ .

(٣) Ann Saddlemyer, " The Irish School, " in **English Drama,** Edited by Stanley Wells (Oxford : Oxford University Press, 1975) .

(٤) Francis Crowe (ed.), **Irish Short Stories** (London : Longman, 1980).

(٥) S. W. Dawson, **Drama and the Dramatic** (London : Methuen & Co. Ltd., 1970) .



مكان الحدث

قاعة استقبال العمدة تشغل تقريبا كافة أرجاء المسرح ، فيما عدا الجزء الذى أمام الستار ومساحة أخرى صغيرة جهة اليسار (اليسار واليمين هما دائما ، من وجهة جلوس الجمهور) .

قاعة الاستقبال فى الطابق الأول من مبنى على الطراز القوطى الحديث[1] . باب واحد على هيئة قوس ، أعلى المسرح ، يؤدى الى غرفة الملابس . باب قوسى آخر من جهة اليسار ، يفتح على رواق . نافذة ، ذات زجاج ملون ، فى الجهة اليمنى ، تطل على ميدان «الجليد هول» .

أبواب وحوائط القاعة مصنوعة من ألواح خشب البلوط ، وأسوار السقف العلوى مزودة بشرفات مفرجة[2] .

الأثاث صلد عتيق ، والجو العام تخيم عليه الرصانة والكآبة .

مائدة مؤتمرات كبيرة سطحها مغطى بالجلد . خزانة عرض زجاجية . جهاز راديو وأسطوانات قديم الطراز ، موضوع عليه اناء زهور صناعية ، علم المملكة المتحدة على أحد جانبي الباب المؤدى الى غرفة الملابس . على الجانب الآخر صورة كبيرة لشخصية منسية من ذوى المقام المدنى الرفيع . كرسي باروكى[3] فخم للعمدة ، عدة كراسى عامودية ، عليها حفر خشبي ، لضيوف العمدة .

---

(١) القوطى Gothic ، طراز معمارى نشأ فى شمال فرنسا ، وانتشر فى أوروبا الغربية من منتصف القرن ١٢ الى القرن ١٦ .

(٢) جدران أو اسوار ذات فتحات ، عادة ما تكون على سطح حصن ليطلق منها النار .

(٣) أى مزخرف على الطريقة الباروكية ، نسبة الى عصر الباروك .

مايكل : عمره ٢٢ سنة . قوى ، ذو ملامح مألوفة لكنه ليس وسيما .

سكنر : عمره ٢١ سنة . نحيل جدا ، متوتر جدا ، قلق جدا ، يوصف بأنه « ذلق اللسان » لكن الصفة أقل من عادلة . عقل متقلب متسرع يقود جسدا نحيلا .

ليلى : عمرها ٤٣ سنة . لديها احد عشر طفلا . جسدها قد استقر ، منذ مدة طويلة فى كفافيته المريحة . غير أن الفقر وحمل الأطفال لم يطمسا ، تماما ، آثار جمال الأيام الخوالى

الزمن : ١٩٧٠ .

المكان : مدينة ديرى ، ايرلندا الشمالية .



حُرّيّة المدينة

تأليف : براين فرايل
ترجمة : خالد حسب ربه
مراجعة : د. طه محمود طه

العنوان الأصلي للمسرحية :

the freedom of the city

BRIAN FRIEL

FABER AND FABER

3 Queen Square

London

شخصيات المسرحية

Press Photographer	مصور صحفي
Priest	قس
3 Soldiers	٣ جنود
Judge	قاضي
Police Constable	شرطي
Dr. Dodds - Sociologist	د. دودز – عالم اجتماع
Michael	مايكل
Lily	ليلى
Skinner (Adrian Casimir Fitzgerald)	سكنر (ادريان كاسيمير فيتزجيرالد)
Balladeer and friends	مغني شعبي ورفاقه
Brigadier Johnson - Hansbury	العميد جونسون – هانسبري
Army Press Officer	مراسل حربي
Dr. Winbourne - Forensic Expert	د. وينبورن – خبير قضاء عسكري
Professor Cuppley - Pathologist	بروفسور كابيلي – عالم باثولوجي
***R.T.E. Commentator**	معلق اذاعي لمحطة الاذاعة والتلفزيون الايرلندية

---

*R.T.E. Radio Telefis Eireann — محطة اذاعة وتلفزيون ايرلندا

الفصل الأول

المسرح مظلم فيما عدا الساحة الأمامية المضاءة بالأزرق الخافت. ثلاث جثث ممددة، فى تنافر بشع، عبر مقدمة المسرح. سكنر على اليسار، ليللى فى المنتصف، ومايكل على اليمين.

بعد فترة من الصمت التام، نسمع من مسافة بعيدة جدا، عويل سرينة سيارة اسعاف، مصور، رابضا خشية اصابته بطلق نارى، يجرى من جهة اليمين، وبسرعة فائقة، وفى عصبية شديدة، يلتقط صورا للجثث. يأخذ ثلاث أو أربع صور لكل منها. ينير وهج لمبة الكاميرا المسرح مع كل لقطة، بشكل مخيف.

وهو يصور جثة سكنر الممددة، يدخل قس من جهة اليمين، رابضا مثل المصور، رافعا منديلا أبيض فوق رأسه. يركع على ركبتيه بجوار مايكل، يباركه بسرعة، ويتمتم بصلوات فى أذنيه ثم ينتقل الى ليللى، ثم سكنر ويقوم بأداء نفس التراتيل مع كل منهم. وبينما القس، يربض بجوار مايكل، تسلط بقعة ضوء على القاضى فى أعلى الشرفة المفرجة. فى نفس اللحظة يدخل، من جهة اليسار، شرطى يرتدى نظارة سوداء يخلع قبعته، ويقف فى مواجهة القاضى. الشرطى يقرأ من مذكرته، القاضى يدون ملاحظات.

القاضى انجليزى فى أوائل العقد السادس، رجل سريع الهياج، يتسم اسلوبه بالتكدية.

الشرطى: هيجارتى ، ياسيادة القاضى
القاضى : ارفع صوتك ، ياكونستابل[1] من فضلك .
الشرطى: هيجارتى ، ياسيادة القاضى .
القاضى : نعم .
الشرطى: مايكل جوزيف. غير متزوج. عاطل. كان يعيش مع والديه.
القاضى : السن ؟
الشرطى: ٢٢ سنة ، ياسيادة القاضى .
القاضى : هل كان المتوفى معروفا لك شخصيا ، ياكونستابل ب ؟[2]
الشرطى: لا ، ياسيادة القاضى .
القاضى : وعندما وصلت الى الجثة ، هل اكتشفت وجود أى سلاح نارى فى حوزته أو بالقرب منه ؟ .
الشرطى: لم أكن أول من يصل هناك ، ياسيادة القاضى .
القاضى : هل يمكن أن تجيب على سؤالى ؟
الشرطى: أنا شخصيا لم أر أى أسلحة ، ياسيادة القاضى .
القاضى : شكرا .

(ثلاثة جنود فى زى ميدانى كامل يجرون من جهة اليمين . اثنان منهم يمسكان بمايكل من القدمين ، ويسحبانه لجهة اليمين ، بينما الثالث ، متوترا ومفزوعا ، يغطيها ببندقيته) .
(المصور يجرى جهة اليسار . القس يتحرك نحو ليللى) .

الشرطى: دورثى ، اليزابيث . متزوجة . عمرها ٤٣ سنة .
القاضى : المهنة ؟
الشرطى: ربة بيت . وأيضا عاملة تنظيف . المتوفية كانت تعيش مع أسرتها فى بيت آيل للسقوط خلف طريق السكك الحديدية القديم– مخزن تحول الى مسكن من ٨ شقق و–

---

(١) شرطى بريطانى .
(٢) هذا مجرد حرف تنظيمى للشرطى .

القاضي : نحن لا نقوم ببحث اجتماعي ، ياكونستابل . هل كانت المتوفية معروفة لك ؟

الشرطي: لا ، ياسيادة القاضي .

القاضي : وهل اكتشفت أى سلاح ف حوزتها ، أو بالقرب منها ؟ .

الشرطي: لم أكن أول من وصل لمكان الحادث ، ياسيادة القاضي .

القاضي : أنا منتبه لهذا ، ياكونستابل .

الشرطي: لم أر أى سلاح ، ياسيادة القاضي .

(القس ينتقل الى سكنر ، الجنود الثلاثة يعودون ، ويسحبون ليللى خارجا) .

الشرطي: فيتز جيرالد ، ادريان كاسيمير .

القاضي : عفوا ؟

الشرطي: فيتز جيرالد —

القاضي : سمعت هذا .

الشرطي: أدريان كاسيمير .

القاضي : نعم .

الشرطي: عمره ٢١ سنة . أعزب . بدون عنوان ثابت .

القاضي : تقصد أنه لم يكن من أهل المدينة ؟

الشرطي: من أهلها ، ياسيادة القاضي . ولكنه كان يتنقل كثيرا . ولم نتمكن من معرفة أى أقارب له .

القاضي : هل كان للمتوفى وظيفة أو حرفة ؟ .

الشرطي: لا ، ياسيادة القاضي .

القاضي : هل كان يحمل أى اسلحة نارية — عندما وصلت اليه ؟

الشرطي: ليس عندما وصلت اليه ، ياسيادة القاضي .

القاضي : وهل كان معروفا لك شخصيا ، ياكونستابل ب ؟

الشرطي: نعم ، ياسيادة القاضي .

القاضي : كارهالى ؟

الشرطي: لقد تورط فى مشاكل عدة مرات ، ياسيادة القاضي . سرقات صغيرة ، سلوك فوضوى – أشياء من هذا القبيل .

القاضي : فهمت . شكرا ، ياكونستابل .

(ينصرف القس جهة اليسار ، يتبعه الشرطي . يدخل الجنود الثلاثة من جهة اليمين ، ويسحبون سكنر بعيدا ، بنفس طريقتهم السابقة . قبعة مناسبات (خاصة بالعمدة) ملقاة بجانب جثة سكنر . أحد الجنود يأخذها معه خارجا) .

القاضي : لابد أن أوضح أننى قد سمحت للجنود ورجال البوليس ، أن يدلوا بشهاداتهم تحت أسماء مستعارة ، وذلك حتى لا يعرضوا أنفسهم لخطر الانتقام . وقبل أن ترفع الجلسة لتناول الغذاء ، لابأس أن أكرر ثانية ، وأوضح كلماتى بجلاء مرة أخرى فى اليوم الأول -: ان محكمة التحقيق هذه ، والمعينة من قبل حكومة جلالة الملكة ، ليست ، بحال من الأحوال ، محكمة عدل . مهمتنا الوحيدة هى تكوين وجهة نظر موضوعية للأحداث التى وقعت فى مدينة «لندن ديرى» ، فى ايرلندا الشمالية ، فى اليوم العاشر من فبراير عام ١٩٧٠ ، عندما فتحت القوات البريطانية النار ، على أثر تجمع حقوق مدنية ، وفقد ثلاثة مدنيين أرواحهم . هذه أساسا ، محكمة لتقصى الحقائق ؛ فاهتمامنا ، واهتمامنا الوحيد ، يتعلق بتلك الفترة الزمنية التى جاء فيها هؤلاء الأشخاص الثلاثة معا ، واحتلوا ممتلكات مبنى مدنى ، وتحدوا قوات الأمن عمدا . ان الحقائق التى سوف نجمعها فى الأيام القادمة ربما تبين أن المتوفين كانوا ارهابيين عتاة ، خططوا لاحتلال مبنى «الجيلدهول» قبل حوادث ١٠ فبراير بأسابيع ، أو أن الحقائق ربما تظهر أن المخطط الفاشل قد خطر لهم فى نفس اليوم ، بينما كانوا يستمعون الى الخطب الثورية . ولكن مهما تكن النتيجة التى ستظهر ، فلابد من فهم

أنه ليس من اختصاصنا اصدار أحكام اخلاقية ، وسوف أطلب من وسائل الاعلام أن يضعوا ذلك فى الحسبان .
نستأنف الجلسة فى الثانية والنصف .
(يغادر المكان) .
يضاء المنظر بأكمله .

(خارج المسرح : اجتماع حقوق مدنية معقود فى ميدان «الجيلدهول» تخطب فيه امرأة . مكبر الصوت فيه عيب ، ولا نستطيع سماع ما تقول ، لكن ايقاع الخطبة حماسى ، يقطعه تصفيق وهتاف . وبينما الاجتماع فى حالة انعقاد خارج المسرح ، يدخل دكتور دودز من جهة اليسار ، ويخاطب المتفرجين وهو بروفسور امريكى متقدم فى السن ، له أسلوب غير رسمى) .

دودز : مساء الخير . اسمى فيليب الكسندر دودز . أنا عالم اجتماع ، ومجال تخصصى الدراسى هو الفقر الموروث ، أو حضارة الفقر ، أو بدقة أكثر الحضارة التحتية للفقر . وبما أننى سوف استخدم هذه المصطلحات بين الحين والآخر ، فدعونى أشرح ما أقصده بها . اننى اتحدث عن هؤلاء الناس الذين هم فى قاع السلم الاجتماعى — الاقتصادى ، وبتحديد أدق عن طريقة معيشتهم المميزة — طريقة معيشة مألوفة لدى الجيتو أو مجتمعات الأحياء الفقيرة ، عبر أنحاء العالم الغربى والتى انتقلت من جيل الى جيل .

أول مايقال عن هذه الحضارة ، أو طريقة المعيشة ، أن لها وجهين : فهى الطريقة التى يوائم الفقراء من خلالها وضعهم الهامشى فى المجتمع ، هذا المجتمع رأسمالى مقسم الى طبقات ، ليتسم بفردية شديدة ، وهى أيضا طريقتهم فى التصرف المضاد ازاء هذا المجتمع . بمعنى آخر ، انها الطريقة التى ابتدعوها للتكيف مع ما يحسون به من فقدان الأمل واليأس ، لأنهم

يعرفون بأنهم لن يكونوا ناجحين أبدا ، بمقتضى قيم وأهداف المجتمع المسيطر . وبمجرد أن يكون لها وجود ، طريقة المعيشة هذه ، هذه الحضارة – فانها تنتقل من الوالدين الى أطفالها ، ثم الى أطفالهم ، وبهذا تتأكد ديمومتها ؛ لأن الأطفال ، ببلوغ السادسة أو السابعة يكونون ، عادة ، قد تشربوا القيم والاتجاهات الأساسية لحضارتهم التحتية ، ولا يكونون مهيأين نفسيا للاستفادة من ميزة تبدل الأحوال ، أو الفرص المتزايدة التى يمكن أن تلوح فى حياتهم .

(فجأة تضيع كل الأصوات فى هدير الدبابات المقتربة ضجيجها يصم الآذان ، ويملأ القاعة كلها . تتوقف الدبابات . صمت لمدة خمس ثوان . ثم تتحدث المرأة التي تخاطب الاجتماع) .

المرأة : احتفظوا بمواقعكم ! لاتتحركوا ! لاتفزعوا ! هذه مدينتكم ! هذه مدينتكم ! (صوتها يضيع وسط الطلقات والرصاصات المطاطية والغاز المسيل للدموع – يسود فى الحال هرج ومرج بين المحتشدين) .

فزع . صراخ . صياح . سرعة الحركات تتزايد حيث تطارد الدبابات والمدافع المائية الجموع الفارة . مزيد من الرصاص المطاطي ، وأصوات فرقعة سريعة من جراء تفجير علب الغاز . يخفت الضجيج ببطء شديد نحو الخلفية بينما يحدث ذلك ، يستأنف دودز حديثه بنفس هدوئه السابق) .

دودز : ان الناس أصحاب حضارة الفقر هم اناس اقليميون ومتكيفون محليا ، ولديهم احساس قليل جدا بالتاريخ . انهم لايعرفون الا متاعبهم هم ، ضاحيتهم هم ، اوضاعهم المحلية الخاصة بهم ، اسلوب حياتهم القاصر عليهم ، ولكن ليس لديهم المعرفة أو الرؤية أو الأيديولوجية ، لادراك ان مشاكلهم هى أيضا

مشاكل الفقراء فى تجمعات الجيتو فى نيويورك ، ولندن ، وباريس ودبلن — فى الحقيقة ، فى كل أنحاء العالم الغربى . ولأعطيكم بعض الأمثلة : إنهم يشاركون فى اتجاه نقدى لكثير من قيم ونظم الطبقة المسيطرة ، وهم يشتركون فى الشك تجاه الحكومة ، وكراهية البوليس ، وفى غالب ، الأحيان ، السخرية من الكنيسة . ولكن فى ذات اللحظة ، التى يتوصلون فيها لنظرة موضوعية لحالتهم ، فى الوقت الذى يدركون فيه أن حالهم له مايماثله فى مكان ما ، من تلك اللحظة ، يكونون قد انفصلوا عن حضارتهم التحتية ، رغم أنهم ربما لايزالون يعيشون فى فقر مدقع . وأى حركة — اتحاد تجارى ، دينى ، حقوق مدنية ، حركة سلمية ، ثورية - أى حركة توفر لهم هذه الموضوعية ، تنظمهم ، تعطيهم أملا حقيقيا ، تدعم تضامنهم ، مثل هذه الحركة ، حتما ، لابد وان تحطم الارث الاجتماعى الصارم ، الذى يغلف عقولهم وأجسادهم .

(يخرج دودز من جهة اليسار. وبينما هو يغادر، تتابع طلقات نارية سريعة — يترنح مايكل على المسرح جهة اليمين. أعماه الغاز المسيل للدموع . يتنفس بصعوبة شديدة ، ويتقيأ . قبل أن يصل الى وسط المسرح ، يسقط منهارا على يديه وركبتيه ، وجبهته تستند على الأرض . وبينما هو يسقط تدخل ليللى من جهة اليمين . هى أيضا متأثرة من الغاز ، ولكن ليس بدرجة السوء عند مايكل . ترفع منديلا على عينيها الفائضتين بالدمع ، ويدها الخالية ممدودة أمامها كما لوكانت عمياء . هى ، أيضا ، تلهث لتلتقط أنفاسها . ترتطم بمايكل على الأرض ، وبدون أن تتفوه بكلمة ، تترنح فى المكان الذى يتلوه . ينطلق سكنر مسرعا من جهة اليمين . لقد أصيب برشة من مدفع مائى — النصف الاعلى من جسده مبلل . يتطلع حوله فى حدة الى مكان ما ،

يختبىء فيه . يسرع متخطيا مايكل ، ثم ليللي ، ويجرى . يكتشف الباب المؤدى الى قاعة الاستقبال ، ويفتحه عنوة . ينظر الى الداخل نظرة سريعة ، ثم ينادى ليللي) .

سكنر : ها ! ياسيدتي يوجد مكان هنا !

ليللي : أين ؟

سكنر : هنا فوق ! تعالى ! بسرعة ! بسرعة ! .

ليللي : اعطني يدك ، ياشاب . عليك أن تقودني .

(يجرى مسرعا نحوها ، يمسك ذراعها ، ويسحبها بخشونه لأعلى المسرح) .

سكنر : هيا - هيا - هيا ! تحركي ، هل تفعلين ! تحركي !

ليللي : لا داع لأن تخلع ذراعي .

سكنر : هل اصبت بجرعة من الغاز المسيل للدموع ؟

ليللي : هل تعتقد أنني أمثل حيلة الرجل الاعمى ؟ يارلي ، أنت ، أيضا ، شاب خشن .

سكنر : ادخلي هنا . بسرعة . احترسي من السلم .

ليللي : يامعطفي الأنيق ! رحمتك يارب ، هل تأخذ بالك من معطفي الأنيق !

سكنر : كان يجب أن أتركك للجنود .

ليللي : ما كانوا ليكونوا أخشن منك .

سكنر : هل تحبين أن تعودي لهم ، اذن ؟

ليللي : لا تتلاعن .

سكنر : هناك كرسي خلفك .

ليللي : بامكاني تدبير أموري .

(تسقط على كرسي ، وتغطي وجهها براحتيها) .

ليللي : آه يارلي ، هذا لهب في العين . يوجد شخص آخر في الخلف هناك .

سكنر : أين ؟
ليللى : فى الخارج مباشرة .
(يندفع سكنر خارج الغرفة .)
ليللى : أين نحن ياشباب ؟ بيت من هذا ؟
(سكنر يعثر على مايكل ممددا على يديه ، وركبته ، ويركع بجواره .)
سكنر : هيا ! انهض ! إنهم يتحولون الى وحوش فى الخارج هناك !
(مايكل يتأوه .)
سكنر : هل أصبت ؟ أصابتك رصاصة مطاطية ؟
مايكل : غاز .
سكنر : أنت بخير . هيا . لا يمكنك أن ترقد هنا .
هل تستطيع المشى ؟
مايكل : اتركنى .
(سيل مفاجىء من الرصاصات المطاطية ، يتبعه صراخ ، وهدير العربات المدرعة .يرقد سكنر منكفئا على وجهه ، حتى انتهاء هذا الانفجار . ثم ، فجأة ،يمسك مايكل من ظهر سترته ، ووجهه لأسفل وهو يترنح ، ويسحبه الى أعلى جهة الباب ، والى داخل قاعة الاستقبال . يسقطه سكنر فى منتصف الغرفة ،ويعود مسرعا الى الباب ويقفله ، وبينما هما يدخلان ، ترفع ليللى الغطاء عن عينيها فى سرعة خاطفة .)
ليللى : كنت أظن أنه شاب . ليس الا . هل اصابته خطيرة ؟
(بعد غلق الباب ، يدور سكنر فى أرجاء الغرفة ، يتفحصها فى براعة فائقة ، خاطفة .)
سكنر : لا .
ليللى : (لمايكل) هل اصابتك ضربة عصا ، ياشاب .؟
سكنر : غاز .

ليللى : محتمل أنه اصيب برصاصة مطاطية فى المعدة .
سكنر : غاز فقط .
ليللى : ربما كانت تنزف فى الداخل .
سكنر : غاز ! هل أنت صماء ؟
ليللى : أنا أحب رؤية الدم . طالما يمكنك رؤية الدم ، فهناك أمل .
سكنر : سيتحسن .
ليللى : أنا رأيت شرطيا يفلق شابا بعصا ، فى مساء يوم سبت فى شارع شبسيب كي انفلقت رأسه مثل البرتقالة ، واندفع الدم فائرا فى الحال . تعرف كالصور التى تراها عن الحيتان ، كل شيء كان أحمر . وفى قداس الساعة ١٢ ، ثانى يوم ، من كان يجلس فى المقعد أمامى ، ليس غيره ، نفس الرجل ، كالورده النضرة ، وعليه لصقة منمنمة من هنا الى هنا ، وكأنه متباه بنفسه .
(يهيء مايكل نفسه لوضع الجلوس على الارض .)
مايكل : آهههه .
ليللى : هل أنت بخير ، ياشاب ؟
مايكل : أظن .
ليللى : (لسكنر) أنا خفت من الطريقة التى كان يتلوى بها ، الكلى كانت ممزقة .
مايكل : لافائدة من هذا كله [1].
ليللى : سيساعدك اذا قرفصت رجليك ببطء .
مايكل : يارب — ألم فظيع .
ليللى : هل كنت تهاجم أم ماذا ؟
مايكل : قذيفة انفجرت تحت قدمى مباشرة .
ليللى : كان لابد أن ترمى سترتك عليها . نزلوا علينا على غفلة ، أليس كذلك ؟

---

(١) يبدو أن سكنر وليللى يحاولان مساعدته على التنفس وتخفيف الآلام .

مايكل : لا أدرى ماذا حدث .

ليللى : ماالذى دفعهم الى ذلك ، على أى حال ؟

سكنر : ألم يخبرك أحد أن المسيرة كانت ممنوعة ؟

ليللى : كنت أعرف أن المسيرة ممنوعة .

سكنر : هل كنت تتوقعين أن يقدموا لك الشاى فى نهايتها ؟

ليللى : لم اتوقع أن تقتحمنا دباباتهم ، ويطلقوا الغاز والرصاصات المطاطيةعلينا ،ياشاب .إنها رحمة من الله فلم يصب احد بأذى . (لمايكل) أين كنت واقفا ؟

مايكل : بجوار المنصة تحت الّذين كانوا يخطبون ،مباشرة .

ليللى : أنا كنت خلف الناس، وجنب جونى ديفى الصغير ، تعرفه— منظف النوافذ— جونى البهلوان— وأنا أحكى له ماذا كان المتكلمون يقولون ، لأنه بالكاد يسمع أى شيء الآن ، من وقت وقوعه من على السلم آخر مرة . وما ان انتهيت من قولة « الشوارع شوارعنا ، ولا مخلوق يقدر يبعدنا » واستدرت ، ويايسوع ، ومريم ، ويوسف ، كانت الدبابة الضخمة خلفى مباشرة . طبعا ، لذت بالفرار . ولما نظرت ورائى ، كان جونى البهلوان واقفا هناك ، يلوح بقبضة يده وهو يصيح « الشوارع شوارعنا ، ولا مخلوق يقدر يبعدنا » . وأنت بالكاد يمكن أن تراه تحت الدبابة . ياربى ، الرئيس سيعجبه هذا جدا .

(ينهض مايكل على قدميه ، ويجلس على الكرسى .)

ليللى : هل أنت أحسن ؟

مايكل : أنا بخير .

ليللى : محتمل انك رججت مخك عندما وقعت . اذا شعرت بدوخة ، اصرخ « النجدة ! النجدة ! »

مايكل : أنا بخير .

ليللى : هل تعرف مايقولون ؟ إن هذا الغاز المسيل للدموع علاج أكيد للتهتهة . هل يمكن أن تصدق هذا ، ياشاب ؟ وهذا هو السبب فى أن سيليا كننجهام ، الساكنة فى الجهة المقابلة لنا ، تسحب معها أبنها الصغير كولم ديميان وسط دخان كل احداث العنف من هنا وحتى «سترابيين» وهو لن يتم السابعة الا فى مايو القادم .

(مايكل يكح مرة أخرى . تقدم له منديلا .)

ليللى : خذ .

مايكل : شكرا .

ليللى : اسعل بشدة .

مايكل : أنا بخير .

ليللى : ان لم تخرجها ، فانها تتسرب الى الرئة ، ثم الى كرات الدم .

مايكل : أنا لم أصل الى أسوأ حالة .

ليللى : كل مسيرة حقوق مدنية تجرى اليها مينى ماك لوفلين— انها تسكن الطابق الأعلى منى— وتلبس ميدالية عجيبة تدبسها على صديريتها . وتقسم بالله انها أحسن من قناع واق من الغاز .

(يصاب مايكل بغصة أخرى ، على وشك أن يتقيأ .)

ليللى : شفاك الله ، ياشاب . اخرجها باستمرار . على العموم ، الأربعاء قبل الماضى ، أصيبت مينى فى الساق من رصاصة مطاطية ، والآن ، تتظاهر أنها مصابة بعرج ، والفتيان الصغار يطلقون عليها جيفارا[1] ان لم تشملها رحمة الله ، فستطلب معاشها من سكان دبلن .

(اكتمل الآن تفتيش سكنى— ويعرف أين هو ينفجر فى ضحك مفاجىء— مزيج من السرور والاثارة والحقد .)

سكنر : هاههههههها !

---

(١) نسبة الى الثائر البوليفى جيفارا .

(لا يزال يضحك ، يقطع الحجرة يمنه ويسرة ، يدق بعنف على الباب بقبضته ، يجرى الى خشبة المسرح ، ويتشقلب على المنضدة .)

ليللى : ياسوع ، ومريم ، ويوسف !

سكنر : هاههههها !

ليللى : الشاب جن ، عيانا ، بيانا .

سكنر : هاههههها !

ليللى : ابعد عنى ، ياشاب !

(يتوقف سكنر ، فجأة ، بجوارها ، ويضع وجهه قبالة وجهها)

سكنر : هل تعرفين أين أنت ، ياست ؟

ليللى : ماعليك الا أن تحدد بالضبط !

سكنر : هل تعرفين أين تجلسين ؟

ليللى : أنا أحذرك !

سكنر : انظرى حولك - انظرى حولك - انظرى حولك - (لمايكل) أين أنت؟ أين تجد نفسك بعد ظهر هذا السبت ؟ (لكليهما) خمنا - هيا - خمنا - خمنا - أراهن بعشرة لواحد ، أنكما لن تعرفا . بخمسين لواحد . بمائة لواحد .

مايكل : أين ؟

سكنر : أين ، ياست ، أين ؟

ليللى : ومايدرينى ؟

سكنر : أنا سأخبركما أين أنتما .

مايكل : أين ؟

سكنر : أنتما فى . داخل . الجليد هول .

ليللى : غير معقول !

سكنر : فى الحقيقة ، انتما فى قاعة استقبال العمدة .

ليللى : أنت كاذب !

سكنر : وقدس الأقداس نفسه !

ليللى : ليكن عندك قدر من الفهم ، ياشاب . ماذا عسانا نفعل فى ؟

سكنر : انظرى حولك ! انظرى حولك !

مايكل : وكيف دخلنا هنا ؟

سكنر : من الباب الجانبى .

مايكل : ولكن دائما عليه حراسة .

سكنر : لابد أن الجنود قد تحركو الى الميدان لتفريق الجمع . (مخاطبا ليللى) عندما بدأت الاضطرابات ، لابد انك جريت ناحية جيلد هول .

ليللى : وما أدرانى أين كنت أجرى . أنا تبعت الخلق .

سكنر : (لمايكل) وانت فعلت نفس الشيء .

مايكل : بعد انفجار الشظية لم ادر ماحدث .

ليللى : اذن دخلنا ولا ندرى ؟

سكنر : من الباب الجانبى وبمحاذاة الطرقة ، ثم الى الداخل هنا . الى قاعة الاستقبال الخاصة بفخامته ، اللورد عمدة «ديرى» . (يقذف بوسادة على الحائط .) ياهههههههو !
(تهب ليللى واقفة . يقف مايكل . يحدقان فى خيفة فيما يحيط بها . وبينما هما يحملقان ، يربض جندى فى آخر زاوية المسرح من جهة اليمين ويتحدث من جهازه اللاسلكى المحمول . رسالته يتلقاها جندى فى آخر زاوية المسرح من الجهة اليسرى .)

جندى (١) : من النجم الأزرق الى الصقر . من النجم الأزرق الى الصقر

جندى (٢) : الصقر يسمعك . هيا ، أيها النجم الأزرق .

جندى (١) : الغجر الملاعين فى داخل «الجيلد هول» الملعون !

جندى (٢) : ياربى !

جندى (١) : والمصيبة هذه ، كيف اتصرف فيها؟

جندى (٢): كيف دخلوا هناك ؟
جندى (١): على زلاجات ثلجية ملعونة – ومايدرينى أنا !
جندى (٢): كم عددهم ؟
جندى (١): لا أدرى . الباب الجانبي مفتوح على آخره .
جندى (٢): أين موقعك ، أيها النجم الأزرق ؟
جندى (١): شارع جيلد هول . عند تقاطع رصيف الميناء . كيف اتصرف ؟
جندى (٢): تمركز فى موقعك .
جندى (١): شيء جميل ! الى متى !
جندى (٢): حتى يتم تعزيزك .
جندى (١): شكرا ، يارفيق !
جندى (٢): لا تحاول الدخول ، أو الاشتباك .
جندى (١): طيب .
جندى (٢): راجع اليك بعد دقائق .

(ينصرفان)

(ليام أوكلى ، معلق تلفزيونى ، يظهر فى احدى الشرفات المفرجة . يتكلم فى ميكرفون .)

أوكلى : إننى أقف مستندا على الأسوار المطلة على ميدان « الجيلد هول » فى ديرى ، حيث تفرقت ، من وقت قصير ، مسيرة حقوق مدنية ، تقدر بنحو ٣٠٠٠ شخص ، على يد فرقة كبيرة من قوات البوليس والجيش . ليس هناك تقارير عن اصابات خطيرة . ولكن تقارير غير مؤكدة ، ترد ، وتفيد بأن مجموعة من نحو ٥٠ مسلحا قد احتلوا « الجيلد هول » هنا ، أسفل منى ، وقد حصنوا أنفسهم داخلها . واذا كانت « الجيلد هول » التى تعتبرها الأقلية رمزا للسيطرة الاتحادية ، قد سقطت فى أيدى

الارهابين ، فسوف يشكل ذلك حرجا شديدا لقوات الأمن ، ولحكومة « ستورمنت » معا . ان العميد البريجادير جونسون — هانسبيرى ، والذى كان مسؤولا عن عملية الأمن المنسقة اليوم ، يرفض ، حتى الآن ، تأكيد أو نفى التقرير . ولم يصدر ، أيضا ، أى تعليق من المراقب العام لقوة شرطة « الستر» الملكية فى « ديرى » . ولكن متحدثين من الموثوق بهم ، عادة ، من الكاثوليك يصرون على أن القصة صحيحة . وهناك مجموعات صغيرة تتجمع بالفعل عند مداخل الشوارع داخل منطقة « الجيتو» ليحتفلوا ، كما قال لى واحد منهم بـ « سقوط الباستيل » . هذا ليام أوكلى يعود بكم الى استديوهاتنا فى دبلن .

(بينما ينهى تعليقه ، يدخل رجل من جهة اليسار — المغنى الشعبى . كأس فى يد ، وزجاجة فى الأخرى . قدماه تترنحان غير أن تهلله العدائى يجعله فصيحا .) يرتدى قميصا وبنطلونا ، القميص قذر ومنسدل على البنطلون . وبينما هو يترنح عبر خشبة المسرح ، يتبعه عزف أوكورديون ، ومجموعة راقصة من الأطفال : يغنى لحن أغنية جسد جون براون) .

المغنى : مائة بطل ايرلندى فى يوم من شهر فبراير
احتلوا ، الجيلد هول ، فى ديرى
جنب رصيف الميناء القديم في ديري ،
تحدوا الجيش البريطانى ، تحدوا ال آر . يو . سى .[1]
عرفوا الامبراطورية المنهارة من هم رجال ايرلندا الأصلاء .
(الأطفال ينضمون للكورس)

الأطفال : ثلاثة هتافات ، وعليهم ثلاثة هتافات ،

---

(١) مركز شرطة الستر الملكية R.U.C m Royal Irish Constabulary
(المراجع)

لايرلندا ، متوحده وحرة ،
للحقوق المدنية والوحدة وتون ، بيرس ، وكونيلى .
عمدة ديرى سيتى ، رجل ايرلندى من جديد ،
تعالوا نحتفل بانتصارنا ، تعالوا نصب الويسكى الأيرلندى .

المغنى : كان قائد الجيش البريطانى شاب انجليزى لطيف ،
لو أنه ضرب حثالة الأيرلنديين
فربما جعلوه لوردا .
لذلك ، همس لعساكره البريطانيين :
« اضربوهم ياشباب
ولكم منى الجزاء الحسن ! »
لكن الشبان من داخل الجيلد هول ردوا صائحين :
تعال وحارب ! ،

معا : ثلاثة هتافات ، وعليهم ثلاثة هتافات ،
لايرلندا ، متوحدة وحرة ،
للحقوق المدنية والوحدة ، تون ، بيرس ، وكونيلى ،
عمدة ديرى سيتى ، رجل ايرلندى من جديد .
تعالوا نحتفل بانتصارنا ، تعالوا نصب الويسكى الايرلندى .
ينصرفون من جهة اليمين .
(مايكل يبدأ فى التحرك حول قاعة الاستقبال ، صامتا ، مأخوذا . ليلى تقف ساكنة تماما ، عيناها فقط تتحركان . سكنر يراقبها عن كثب . فترة صمت .)

مايكل : ياالهى — قاعة استقبال العمدة !

(صمت)

مايكل : كنت هنا مرة من قبل . لا أقصد هنا فى الداخل — فى مكتبه

العام – أقصد المكتب أسفل الطرقة . من ثلاث سنوات – فى ذلك الشتاء السيء – كانوا يطلبون رجالا إضافيين لازالة الثلج ، وقال والدى إنه احتمال لو ذهبت مباشرة الى فوق ، وسألت سيادته ... هذا المكتب العام ، شيء لطيف فعلا . ولكن يارلى هذا ....

(صمت)

ليللى : ما كان يجب ان نكون هنا ..

مايكل : يارلى ، شيء مؤثر جدا .

ليللى : لا مكان لنا .

مايكل : يارلى ، جميل ، أليس كذلك ؟

سكنر : (يكلم ليللى) أليس جميلا ؟

(ليللى لا تزال ساكنة لا تتحرك. تشير)

ليللى : ما هذا ؟

سكنر : مسجل وراديو .

ليللى : وهـذا ؟

سكنر : كابينة كوكتيل . ماذا ستشربين ياسيدتى ؟

ليللى : ماذا فى داخل هذا الصندوق ؟

(سكنر يحاول فتح أعلى خزانة العرض .)

سكنر : مغلق . لكن حالا سنعالجه .

(يخرج مطواة ، وببراعة يعالج القفل .)

مايكل : تحسس الجدران . ومقابض الباب . بلوط أصلى . ونحاس . أحسن خامات .

(سكنر يتناول سيف تشريفة ، وبندقية قديمة الطراز ، مرفق بكل منها بطاقة الوصف)

سكنر : هذا سيف تشريفة من القرن الرابع عشر بمقبض من الجوهرات وطرف مستدق من الفضة .

ما رأيك فى السيوف ياسيدتى ؟

مايكل : تحسس السجادة . مثل المرتبة .

سكنر : وهذه بندقية استعملتها حامية انصار ويليام التى حاصرها جيش اليعاقبة عام ١٦٩١ .

ليللى : من هــذا ؟

سكنر : (يقرأ) السير جوشوا هيثرنجتون ام . بى . اى – فى . ام . اتش – اس . اتش . آى . تى [١] – هل هو واحد من رفاقك ؟

ليللى : كنت أفكر بأنه ليس القلب المقدس .

(يفحص مايكل باحترام طقم المكتب الموجود على الطاولة)

مايكل : تحسس ثقل هذا – فضة خالصة . انظر – انظر – جلد طبيعى – تحسسه بيدك

(سطح المكتب)

سكنر : سيكون علينا أن نوقع فى سجل مشاهير الزوار ، ياسيدى . هل أنت من المشاهير ؟

ليللى : ماذا فى الداخل هناك ؟

(مايكل يفتح غرفة الملابس وينظر داخلها .)

مايكل : دولاب ملابس – تواليت – حوض غسيل اليدين – دش . قرميد وردى وأسود فى كل مكان . والحنفيات ذهب ومصنوعة على شكل رأس سمك .

(يغلق الباب) . يارب ، شىء مدهش جدا . أليس مدهشا ، ياسيدتى ؟

سكنر : اليس مدهشا ، ياسيدتى ؟

---

(١) يتعلق بعضا من حروف الهجاء ، اختصار لألقاب منها : عضو جماعة الامبراطورية البريطانية

M.B.E = Member of the order of the British Empire

V.M.H = Victoria Medal of Honour ميدالية فيكتوريا الشرفية

S.H.I.T ليست اختصارا للقب ولكنها تعنى القاذورات وفيها تهكم من سكنر على صاحب الصورة .

ليللى : تمام .

سكنر : ٢ جنيه تأمين ضد الكسر ، وهى لك مقابل ١٠ شلنات فى الاسبوع ، أو محتمل أن المنطقة لا تعجبك ، ياسيدتى ؟

ليللى : الاسم مسز دوهرتى ياشاب ، مسزليللى دوهرتى .

سكنر : الست متأثرة ، ياليللى ؟

(مايكل يقرأ الكلام المخطوط تحت النافذة ذات الزجاج الملون)

مايكل : «مهدأة إلى مواطنى لندن ديرى» من اصحاب معالى الجمعية الايرلندية احتفالا بزيارة الملك ادوارد السابع يوليو ١٩٠٣ .

سكنر : هذه نافذتنا ، ياليللى، كيف يمكن أن تبدو فى قاعة استقبالك ؟

مايكل : أنا قرأت عن اصحاب المعالى الجمعية الايرلندية . انهم كبار رجال الاعمال والبنوك فى لندن ، وهم يملكون معظم الأراضى فى المدينة .

ليللى : هذه الفرقة أكبر من المكان كله عندى .

سكنر : أليس عندك حنفيات ذهب وجدران مقرمدة ؟

ليللى : هناك حنفية واحدة وتواليت واحد تحت فى الفناء — وهما لـ ٨ عائلات .

سكنر : اقسم بالله ، انك لن توقعى فى سجل لكبار الزوار، ياليللى .

ليللى : وسوف أخبرك بشيء . ياولد ، ياسليط اللسان : لو كان هذا المكان ملكى ، لغطيت ، حالا ، الألواح العريانة القبيحه الجدران المغطاة بالواح البلوط بدهان وردى لميع حلو، لعكن غسل الوسخ من عليها . وأضع زجاجا لائقا حتى يمكن أن ترى من خلال هذه النوافذ الكئيبة . وأبعد « جوستالين » هناك (سير جوشوا) ، وأضع سريا لطيفا من هذا البط النحاسى بطول هذا الحائط .

(سكنر ومايكل يضحكان سويا)

سكنر : أنت امرأة ذواقة ، ياليلى دوهرتى .

ليلى : وحيث أن هذه أول مرة لى هنا ، (تخاطب سكنر) وحيث أن هيئتك هيئة وكيل الأملاك ، فان اقل ما يمكن أن تفعله ، هو أن تقدم شرابا لدافعة الضرائب .

(تجلس – تأخذ وضعها فى الجلسة ، مايكل يضحك .)

مايكل : قاعة استقبال العمدة – يالله !

ليلى : (لمايكل) هل تتوقف عن الزحف على أطراف اصابعك ، يا شاب ، وكأنك تمثل مراحل الصليب .[1]

مايكل : لم اكن اتخيل اني سأكون هنا .

ليلى : طيب . انت الآن هنا . اجلس وكف عن الارتعاش كسلوقى[2] جافيجين .

سكنر : ماذا ستشربين ، ياليلى ؟

ليلى : ماذا عندك ؟

سكنر : ويسكى ، جن ، روم ، شيرى ، براندى ، فودكا .

مايكل : آه والآن ، مكانك .

سكنر : ماذا ؟

مايكل : هل تظن أنه من حقك ؟

سكنر : ماهو ؟

مايكل : أن تلمس أى شيء من الوجود

سكنر : ولم لا ؟

مايكل : فى الواقع ، أقصد أن أقول ، إن هذه الأشياء لا تخصنا ، اننا لم نكن مدعوين هنا و–

ليلى : انظر ، ياشاب ، بما أن القوات البريطانية ابعدتنى عن

(١) سلسلة من ١٤ صورة تمثل مراحل صلب المسيح .

(٢) كلب من كلاب الصيد .

شوارعي ، وحرمتني من نظري ورؤيتي لمدة ربع ساعة حلوة ، فان أقل شيء يفعله مجلس المدينة هو أن يرضينا بكأس واحدة صغيرة .

(بفخامة لسكنر) اعتقد انني افضل قليلا من النبيذ الأحمر ، ياشاب ، ان كنت مصرا .

مايكل : اقسم بالله ان هذا جنون – جنون فعلا – جالسين فى قاعة استقبال العمدة فى عصر سبت – جنون لعين . (يقهقه)

ليللى : ماذا يسمونك ، ياشاب ؟

مايكل : مايكل .

ليللى : مايكل من ؟

مايكل : مايكل هيجارتى .

ليللى : من أى فرع من هيجارتى ؟

مايكل : أنا من البراندويل .

ليللى : ابن جاك هيجارتى ؟

مايكل : ابن تومى . والدى كان يعمل فى المسلخ – قبل أن يقفلوه .

ليللى : هل يعمل ؟

مايكل : كنت موظفا عند مقاول مبانى ، ولكنه أفلس من ٦ شهور . قبلها كنت مساعد مخزن فى معمل التقطير ، لكن المعمل نقل بعد ذلك . والآن ، يحاول والدى الحاق بشركة الغاز ، والدى ورئيس العمال صديقان . وفى نفس الوقت ، أذهب الى معهد التكنولوجيا أربع مرات فى الاسبوع مساء – عارفه – لكى أحسن مستواى . أدرس اقتصاد وادارة أعمال ، وعلوم الكومبيوتر .

ليللى : لابد انك ذكى ، يا شاب ؟

مايكل : حقيقة ، لا اعرف . لكن أنا حظى أحسن بكثير من والدى . ومن وقت الاكتشاف فى بحر الشمال ، فهناك مستقبل كبير فى

الغاز. انهم لايستطيعون الى الآن أن يخمنوا الى أى مدى سوف تتطور صناعته.

سكنر : سيكون بامكانك مواجهة التحدى ، يارجل باعاقل. هل انت ذكية ، يا ليللى؟ .

ليللى : أنا ؟ لم يكن فى امكانى عمل أى شئ صح فى المدرسة ، غير حمل لفة الكتب . وعندما كان يأتى الموجه ، كانوا يحسبونى فى غرفة تخزين الأدوات مع افراد ماليجان المجانين . من حسن حظ أطفالى أن رئيس المنزل مخه كبير.

سكنر : ياسيد هيجارتى ؟

مايكل : ماذا ؟

سكنر : كأس.

مايكل : لا أعتقد انه يجب - أظن -

سكنر : كما تريد.

ليللى : (لمايكل) أنت ضحية ؟

مايكل : ماذا ؟

ليللى : للشراب.

مايكل : لا ، لالا ، لا ، كل مافى الأمر أنه لا يوجد أحد هنا ، وان هذا لايخصنا و-

ليللى : هل ستأخذ كأسا واحدة ، ولا تكن مثل النسوة العجائز (لسكنر) صب له كاسا ياشاب.

مايكل : اذن ، كأساً صغيرة جدا من الويسكي.

ليللى : مايكل اسم لطيف. أنا عندى ولد اسمه مايكل. عمره سبع سنوات ، ترتيبه قبل جلوريا. عمرها ست سنوات. ثم تيمونى ٣ سنين. ثم الطفل مارك أنتونى ١١ شهرا.
كلهم ، والحمد لله ، أصحاء العقل والبدن. هذا يسرى أيضا على ابننا ديكلان عمره ٩ سنوات - رغم انه ليس متقدما مثل

الآخرين – عارف – لايحب الاختلاط كثيرا ، ولد صغير هادئ تعرف – لا يغلب عليه الا الخجل ، وبالتأكيد سيتخلص من هذا ، أليس كذلك؟ كلهم يقولون عنه ديكلان الدلوع . لكن ، الحمد والشكر لله ، ولا واحد فيهم صدره كصدر الرئيس . تريد أن ترى صدره ، يا شاب ؟ اطلب مه أن يحمل الماء أو الفحم للأدوار الثلاثة من الفناء ، وستظن ان اعصار ديبي زاحف ناحيتك . واعطه فقط نشقة بسيطة من الدخان الذى أصابنا اليوم ، وقبل أن ترمش بعينك سيكون قد قطع النفس للأبد .

مايكل : خمسة أطفال؟

ليللى : خمسة؟ ربنا يعدل لك مخك ! ١١ ياشاب ، ٨ صبيان و٣ بنات . وجاؤوا مثل نقشة على ورق الحائط : ولدان وبنت ، ولدان وبنت ، ولدان وبنت ، ولدان
ولو كنت كملت الدسته لجاءت بنت صغيرة ، أليس كذلك؟

مايكل : أنا – أنا – ال –

ليللى : وكنت سميتها ياسمين – على اسم الزهرة الصفراء البديعة . رأيتها مرة فى اكليل على مقبرة فى اليوم الذى دفنوا فيه زوجة آندى بويل . لكن بعد مارك أنتونى ، لم يبق فى الرئيس نفس .

(سكنر يناول الكؤوس)

سكنر : مع تحيات المدينة .

ليللى : هيه ! ماذا جرى لك ؟

سكنر : أنا؟

ليللى : قميصك – أنت مبتل !

سكنر : لحقنى مدفع الماء .

ليللى : هل تخلع هذا القميص ، يا شاب ، قبل أن تموت من التهاب رئوى داخلى؟

سكنر : جفت ملابسى الآن–

ليللى : اخلع هذا القميص.

سكنر : أقول لك– جفت ملابسى.

ليللى : تعال عندى هنا.

سكنر : جف بللى كله.

ليللى : قلت لك تعال هنا!

(تفك أزرار قميصه وتخلعه– لايرتدى شيئا تحت القميص– وتجفف شعره به.)

ليللى : أقدام مبللة أو صديرية مبللة، الطريق الأكيد لوفاة مبكرة. يارلى، لحم على عظم.

سكنر : اتركينى وحدى. أنا بخير.

ليللى : وكنت تتنقل بهذا الشكل طول نصف الساعة الماضية! كيف حال حذائك؟ هل هو جاف؟

سكنر : أقول لك– أنا بخير.

ليللى : اخلعه. اخلعه.

(يخلع حذاءه المصنوع من قماش التيل. لا يرتدى جوربا.)

ليللى : ناوله لى.

(تعلق القميص على كرسى، وتضع فردتى الحذاء على جانبها)

ليللى : هل رأيت ابننا كيفن؟ انه مثله (تقصد سكنر). يأكل مثل قسيس ولا شئ يظهر عليه. أحس بالخجل عندما يذهب مع فصله الى حمام السباحة.

مايكل : حسنا. فى صحة الحقوق المدنية.

ليللى : حظ سعيد، يا شاب.

سكنر : حظ سعيد.

مايكل : فى صحة طردة ثانية عظيمة اليوم.

ليللى : عظيم.

مايكل : بالتوفيق.

(يظهر قس فى رداء كهنوتى فى الشرفة المفرجة. يخاطب جمعا من المصلين فى قاعة الاستقبال.)

القس : فى الساعة الحادية عشرة من صباح غد، يقام فى هذه الكنيسة قداس مهيب، لراحة أرواح الأشخاص الثلاثة، الذين أغرق موتهم هذه الأبرشية فى حزن ذاهل عميق. وربما تعلمون، فقد كان لى شرف القيام بطقوسهم الأخيرة. وإن معرفتنا بأنهم ما ذهبوا للقاء خالقهم غير متأهبين، هى عزاء لنا جميعا. ولكنه من الطبيعى، اننا لابد وأن نتفجع عليهم حزنا. طوبى للذين يحزنون.

يقول ربنا الأعلى. ولكنه من صحيح الأمور وملائمها أيضا، أن هذا الحدث المأساوي لابد وأن يجعلنا نتوقف ونقلب الأمر، ونسأل أنفسنا السؤال الملح جدا : لماذا ماتوا؟

اعتقد أن الاجابة على هذا السؤال هى الآتى : لقد ماتوا فى سبيل معتقداتهم ماتوا من أجل مواطنيهم. ماتوا لأنهم لم يستطيعوا أن يتحملوا المزيد من الجراح، والمظالم، والاهانات، التى كانت تصيبهم لسنوات طوال. لقد ضحوا بحياتهم على أمل أن نتخلص، أنت وأنا وآلاف أمثالنا، من هذا العبء الجائر، وعلى أمل أن نرث طريقة كريمة للعيش. فاذا لم يكن هذا فضيلة بطولية، فإن كلمة الطهارة لا يصبح لها معنى.

ليس هناك تضحية تذهب هباء. ولكن قيمتها يمكن أن تذوى اذا لم تؤجج خيالنا، تقوى عزمنا، وتجعلنا ربما أكثر تصميما على أن نرى ذلك الحلم الذى راودهم وقد

تحول الى حقيقة واقعة. لعلنا نكون جديرين بذلك الحلم، بثقتهم. لعل يكون لدينا الشجاعة لتحقيق آمالهم النبيلة. ولعل الله يمدنا من نوعه، لنستمر من حيث انتهوا. باسم الآب، والابن، والروح القدس.

(عندما ينهي القس كلامه، ينصرف. وبعد ذلك مباشرة نسمع أصواتا من خلف الشرفة المفرجة، تنادى بعضها بعضا فى نبرات مصدومة وجلة.)

الصوت (١): هناك على الأقل ١٢ قتيلا.

الصوت (٢): أين؟

الصوت (١): داخل الجليد هول.

صوت (٣): أنا سمعت انهم ١٥ أو ١٦.

صوت (١): محتمل ٢٠.

صوت (٣): وطفل في عربة أطفال.

صوت (١): ورجل عجوز. نسفوا رأسه.

صوت (٢): آه، ياربى.

صوت (٣): كسروا النوافذ مباشرة، ورموا قنابل يدوية فى الداخل.

صوت (٢): آه، ياربى.

صوت (٣): فتتوا معظمهم نُتفا.

صوت (٢): داهيه تاخدهم على أى حال! داهيه تاخدهم!! داهيه تاخدهم!

(مراسل حربى برتبة ضابط يظهر فى الشرفة المفرجة ويتلو بيانا صنحفيا على بضعة محررين. اوكيلي مصور المشهد الافتتاحى... الخ. أسفل.)

الضابط: فى حوالى الساعة ١٥,٢٠ اليوم، احتلت عصبة من الارهابيين جزءا من الجيلد هول. لقد تمكنوا من الدخول أثناء شغب مدنى، وذلك بمعالجة باب جانبي بالقوة فى

شارع الجيلد هول . عدد المتورطين يقدر بأربعين شخصا .
في أثناء ذلك الشغب ، اصيب جنديان بالحجارة ، آخر
بزجاجة . ليس هناك تقارير عن اصابات بين المدنيين .
المنطقة الآن هادئة ، وقوات الأمن تسيطر على الموقف
ولن يصدر أي بيان لاحق .

(الصحفيون يلقون بأسئلتهم في سرعة فائقة .)

اوكيلي : أي جزء من الجيلد هول تم احتلاله ؟

الضابط : الدور الأول بكامله .

صحفي (١) : هل صحيح أن هناك نساء في الداخل ، أيضا ؟

الضابط : معلوماتنا أن هناك نساء متورطات .

صحفي (١) : هل هم مسلحون ؟

الضابط : معلوماتنا أنهم حصلوا على أسلحة .

صحفي (٢) : هل أحضروا الأسلحة معهم ، أم انها كانت في الداخل ؟

الضابط : نعلم أن الاسلحة متاحة لهم .

أوكيلي : أى نوع القوات والمعدات أعددتم ؟

الضابط : لا أستطيع الرد على هذا .

صحفي (١) : هل كنتم على اتصال بهم ؟

الضابط : لا .

صحفي (٢) : هل ستقومون بالإتصال بهم ؟

الضابط : محتمل .

اوكيلي : هل ستتفاوضون معهم ، أم أنكم ستقتحمون المبنى ؟

الضابط : آسف . هذا كل ما استطيع قوله .

اوكيلي : متى ستبدأون في مطاردتهم ؟

صحفي (١) : هل هي عملية من عمليات البوليس أم الجيش ؟

الضابط : آسف .

صحفى (٢) : لماذا لم تكن الجيلد هول مؤمنه بالحراسة؟
اوكيلى : من المسئول عن القوات الأرضية؟
صحفى (١) : هل تتوقع رد فعل من جانب الكاثوليك.
الضابط : آسف يا سادة.

(يختفى الصحفيون يهرعون خارجا.)

(مايكل ينهض على قدميه.)

مايكل : كانت مطاردة كبيرة، أليست كذلك؟
ليللى : مهولة.
مايكل : والخطب كانت جيدة، أيضا.
ليللى : أنا لا أهتم كثيرا بالخطب. أليس هذا كلاما يصدم؟ أنا لا استطيع التركيز – عارف؟

مايكل : لن يتعلموا أبدا، عارفة، أبدا. كل ما كان عليهم أن يفعلوه هو أن يقفوا فى لطف وهدوء، ويتركوا الخطب تستمر والمجتمعين يرجعون لبيوتهم. ما كان ليكون هناك مشاكل من أى نوع. لكن اندفعوا كالثيران. هل تعرفين ماذا يفعلون؟ فى الحقيقة، يقومون بشيئين: يأتون بمزيد ومزيد من الناس للشوارع، لاباس، ولكنهم أيضا يعطون الغوغاء مبررا للانتقام – هنا مكمن الخطر.

ليللى : (لسكنر) لن ينفعك سوى شرب الويسكى الساخن (١). وأستطيع أن أقول لكم بأنه لم يكن هناك وقتها الآلاف التى خرجت اليوم. أنا حتى شاركت فى مسيرات حقوق مدنية لم أكن راضيا ابدا عن الناس الذين نظموها؛ لانه كما تعرفان، وكما أعرف أنا، هناك كثير من الغرباء ينحشرون وسط المسيرة، والذين لايهتفون بشعار واحد[1] عن الحقوق المدنية الحقيقية – لا مؤاخذة يا سيدتى –

---

* (١) يعتقد الايرلنديون انه يفيد فى علاج البرد والكحة.

ليللى : النبيذ الأحمر فاخر.

مايكل : ولكن كما أقول لنورا ، الشيء الأساسى هو المحافظة على جبهة موحدة. الأهداف النهائية التى نكافح من أجلها أهم من الأشخاص أو سياسات الأفراد المعنيين.

سكنر : وعند هذا فى الوقت المناسب.

مايكل : ما هذا؟

سكنر : ويكون لدينا ادراك بكل الحقائق النسبية.

مايكل : ماقصدك.

ليللى : من هى نورا ، يا شاب؟

مايكل : خطيبتى.

ليللى : (لسكنر) آه! له خطيبة.

(سكنر يرفع كأسه .)

ليللى : مبروك.

مايكل : شكرا.

ليللى : اتمنى لك الصحة ، والثروة ، وكل السعادة ، ياشاب ، وألا يصادفك عبء لا يكون بمكانك تحمله.

مايكل : شكرا.

ليللى : متى ستتزوجان؟

مايكل : فى عيد الفصح.

ليللى : (لسكنر) الفصح! أنا تزوجت فى الفصح– ٣ أبريل– فى عيد ميلادى السابع عشر.وقضينا شهر العسل مع عمة الرئيس ، العمة ماجى ، والعم نيد فى بريستون ، لا نكشير ، فى انجلترا ، ورأينا احواض السفن وكل شيء.

مايكل : سنتزوج فى فصح الثلاثاء.

ليللى : وأين ستسكنان؟

مايكل : سنسكن مع أسرتى حتى ندبر مكانا خاصا بنا.

ليللى : (لسكنر) مكان خاص بها !

سكنر : ليلي ، اللغة التى أتكلم بها على قد حالى – نعم؟(١)

ليللى : نورا اسم لطيف. لو كان الرئيس قد شد حيله ، كان أصبح عندنا نورا . ولكن كنت دائما افضل نويللى. عمرها ١٤ سنة الآن . بين توم والتوأم . ولدت فى نارأغسطس الشاوية ، فى يوم اثنين كان عطلة بنوك ، فى الساعة ٣,٢٠ بعد الظهر، ومع ذلك سميتها نويللى .

مايكل : (لسكنر) كم واحد فى ظنك ، كان هناك اليوم؟

سكنر : ليس عندى فكرة .

مايكل : ستة آلاف؟ أكثر؟

(يهز سكنر كتفيه بلا مبالاة . ينهض ويذهب الى النافذة حيث ينظر خارجها . ليللى تخلع حذاءها .)

مايكل : أنا بدأت أصبح دقيقا فى تقدير أعداد الجموع ، وتقديرى أنهم ما بين ستة وستة ونصف . لما كان من فى المقدمة عند براند يويل كان من فى المؤخرة يغادرون حى كريجان . تمكنت من الرؤية فى الاتجاهين ، لأنى كنت فى الوسط . وكانت عناصر الرعاع خارج المسيرة . كانت مظاهرة جيدة ، ومنظمة ومسؤولة . هذا هو ما يجب أن نظهره لهم – اننا ناس مسؤولون ومحترمون ، ولابد انهم سيحترمون ما نطالب به فى حملتنا .

ليللى : هل ترى هذا الحذاء؟ بخمسة جنيهات من محلات وول ورث ، لم ارتح فيه يوما واحدا منذ أن اشتريته .

مايكل : هل تخرجين فى كل المسيرات ، يا ليللى؟

ليللى : معظمها . انها التمرين الوحيد الذى أقوم به .

مايكل : هل عندك احساس بأنهم ليسوا – لا أعرف – محترمين بالشكل

---

(١) سكنر يمزح ، وينطق اسم ليللى بهجائية خاطئة ، وكذلك كلمة قد Little .

الذى ظهروا به من قبل؟ مثلا ، هل تذكرين فى الأيام الاولى ، ماكانوا ليسمحوا لك بحمل أى لافتات ، وماكانوا حتى يتركوك تتكلمين ولوكان الحلفان بالله. وكان هذا مؤثرا فعلا — كل اولئك الناس كانوا يسيرون معا فى صمت ، من أغنياء وفقراء ، أكابر وبسطاء ، أطباء ومحاسبين ، سباكين ، ومدرسين ، وبناءين — كلهم كتفا الى كتف — كانوا يعرفون أن ما يطالبون به ، هو حقهم ، يعرفون بأنه مادام هو حقهم ، فلن يوقفهم شيء فى العالم عن الحصول عليه .

سكنر : قطران [1] — لامؤاخذة ياهانم. من يرغب فى رشفة ثانية من خمر المجلس البلدى ؟

(يعيد ملء كأسه وكأس ليللى .)

مايكل : ماذا تقصد ؟

ليللى : كفاية . بالراحة . بالراحة .

سكنر : طالعة من صلب راجل ابن راجل . كأس ويسكى آخر ، ياسيد هيجارتى ؟

مايكل : هل أنت من مؤيدى الحقوق المدينة بأى حال ؟

سكنر : طبعا ، مؤيد. أنا مجنون بها. أتحب القليل منها ؟

مايكل : ليس لى .

سكنر : رشفة فقط ؟

مايكل : أنا آخذ كفاية .

سكنر : تاخذ سيجارا .

مايكل : لا .

سكنر : سيجارة طيب .

مايكل : لا

(1) أصلها غائط shite ولذلك فإن سكنر يتبعها بالاعتذار.

سكنر : أوما رأيك فى دش تحت السمكة الذهبية؟
(ليللى تطلق ضحكة ذات شهقة قوية)

ليللى : ها هههها ! دش ! ياربى كم أنت مضحكاتى ، يا شاب .
(سكنر يشعل سيجارا ، ويحمل كأسه الى حيث التليفون .)

مايكل : أنا لا أرى أى شئ مضحك فى هذا .

ليللى : تعرف لوكان اليوم هو الأحد ، كنت أنا نفسى اخذت الدش . الأحد هو يومى كل واحد منا له يوم للاستحمام عند الجدة – أم الرئيس . هى عاملة لنا جدول مواعيد
معلق على جدار المطبخ ، واذا ضيعت ليلتك ، تخسر دورك .

سكنر : (يتحدث فى التليفون) هالو؟ ممكن تخبرنى من كسب شوط الساعة ٣,٠٣؟

ليللى : (لمايكل) هل تريد أن ترى الجدة يا شاب ؟ ٧٧ سنة . تعيش وحدها . رشيقة مثل قطة عجوز. تحتفظ بأسنانها ، وبعينيها .ومازالت تتولى ٢٠ بيتا فى الاسبوع عارف ، تنظفهم ، وأنا فى عمر بنتها ، لا أستطيع تنظيف أكثر من ١٥ بيتا .
(سكنر يضع سماعة التليفون .)

سكنر : المهرة بنحو ثمانيه لواحد أنا فى وضع أحسن قليلا من وكيل مراهنات مليونير.

ليللى : منظرك .
(سكنر يدير قرص التليفون مرة أخرى . ليللى تستمر فى توجيه الكلام لمايكل .)

ليللى : تقوم بتنظيف معظم تلك البيوت من سنين ، عندهم بالدنيا ، منهم أطباء أسنان ومحامين وأطباء ، كل الفئات ، أبهة خالص . يزورها عيال تلك البيوت وكلهم ينادونها باسم دلع – يسمونها العمة دودى الا يجعلك هذا تتقيأ؟ سأخبرك بشئ ، يا شاب : انهم نوع من الناس ضعاف جدا فى الحكم على الأشخاص .

سكنر : (فى التليفون) جاكى؟ نعم. أنا. لا، فى الحقيقة، أنا عريان حتى الخصر وأشرب البراندى فى قاعة استقبال العمدة. (مخاطبا ليللى ومايكل) انه ميت من الضحك (فى التليفون) اسمع، يا جاك، هل من الممكن أن تراهن لى بنصف جنيه على بونى رابيت فى شوط الرابعة والنصف؟ يا راجل يا طيب. أراك الليلة. مع السلامة.

ليللى : أنا مسرورة ان تلك وظيفة مريحة، لطيفة.

سكنر : ليست مشرقة دائما، يا ليللى.

ليللى : تراهن كثيرا؟

سكنر : لما يكون معى...

ليللى : سيكون فى الغالب. ماذا ينادونك، يا شاب؟

سكنر : سكنر.

ليللى : السيد سكنر، ولا سكنر ماذا؟

سكنر : سكنر فقط.

ليللى : قريب بادى سكنر الذى كان يرعى الماعز خلف كنيسة المورمون؟

سكنر : توفى والداى، وأنا طفل. تربيت على يد عمة. السؤال التالى؟

ليللى : ياربى، أنا آسفة يا ابنى. (لمايكل) والداه معا! صدمة! «الحياة ليست سريرا من الورود. الأسى هو خبزنا اليومى»، (فجأة تبتهج). لكن اراهن انك موسيقى ككل الباقين.

سكنر : من؟

ليللى : بالتأكيد، معروف ان كل اليتامى الصغار يكونون دائما موسيقيين. اليتامى يمكن أن يعزفوا على الآلات قبل أن يتمكنوا من الكلام. كان هناك الفقير الصغير موطيزر قبالنا — الأب

والأم تعرضا للاصابة بالدرن، الواحد بعد الثانى فى خلال ثلاثة أيام. وعندما تمر على ذلك البيت فى الليل والموسيقى خارجة منه- اقسم بالله، انك تظن أنه كازينو رقص. بالتأكيد، انظر لفرقة بيت الناصرية وهم يزلزلون الحفلات فى كل الدنيا- جيوش مدربة لا يمكن أن توقفهم. أكيد ان الراهبات المسكينات لا يجدن الهدوء لتلاوة الصلاة.

(سكنر يدير المذياع)

سكنر : بامكانى أن اعزف على الراديو، ياليللى.

(موسيقى فالس فى الراديو)

ليللى : ماهذا؟

سكنر : أربع طرق- عالى وهادئ وقفل وفتح. يمكنك هذا؟

ليللى : آه، أنت هائل.

سكنر : والعب على الخيل والكلاب.

ليللى : أنت ذكى جدا.

سكنر : شكرا.

ليللى : وشغلك؟

سكنر : لا

ليللى : ألم تعمل فى حياتك؟

سكنر : لفترة قصيرة أيام التلمذة فى المدرسة الابتدائية- قبل أن يطردونى.

ليللى : ألم تشتغل أبدا؟

سكنر : من ٣ سنوات، قمت بجمع بعض البطاطس.

ليللى : (لمايكل) عنده ذاكرة قوية.

سكنر : وفى أغسطس الماضى، كنت محصلا فى الباصات.

ليللى : لكن السفر لم يناسبك

سكنر : اسمعى ، ياليللى – أليس هذا هو اوركسترا اليتامى لاذاعة الـ بى . بى . سى ؟

ليللى : سأخبرك بشئ – ما كان عليك أبدا أن تدرس ذلاقة اللسان . لاشئ يحد الذكاء مثل الكسل . (لمايكل) أنت انكب على كتبك ، ياابنى . هذا ما أقوله لأولادنا .

سكنر : أنا أراهن أن رئيسك حاد اللسان ، ياليللى .

ليللى : الرئيس لم يعمل أبدا بسبب صحته .

(سكنر يغنى مع الراديو ، ويقلد رقصة الفالس جيئة وذهابا الى غرفة الملابس)

سكنر : ١ – ٢ – ٣ ، ١ – ٢ – ٣ ، ١ – ٢ – ٣ ، ١ – ٢ – ٣ .

ليللى : (تجهر بصوتها) وعنده عقل يوزن دسته من أمثالك مع بعض ! يا عيل ! إقفل هذا الشئ .

(مايكل يغلق المذياع .)

ليللى : ولد جاهل وقح ، هذا السكنر ! واضح أنه لم يكن له أم تربغ له مؤخرته .

مايكل : هل كان فى المسيرة بأى حال ؟

ليللى : من ؟

مايكل : سكنر .

ليللى : وكيف أعرف ؟

مايكل : عندى شك أنه انضم للاجتماع صدفة .

ليللى : الرئيس عمل لمدة سنة كاملة بعد زواجنا . فى مسبك تومبسون . لكن دخان الغازات اتلف أنسجة رئتيه . أتظن أنه يحب الجلوس أمام المدفأة طول اليوم ، يقرأ مجلات الأطفال ؟

مايكل : سكنر هذا مشاغب .

ليللى : لكن رغم أنه لم يتعلم أبدا ، فالملعون ذكاؤه أحد من الوعل .

مايكل : هذا ما كنت أتكلم عنه من قبل ، ليللى . شخصيات من هذا النوع تحتاج للمراقبة .

ليللى : من ؟

مايكل : هو.

ليللى : ما حكايته ؟

مايكل : عندى شعور من ناحيته . لن أندهش اذا تبين أنه ثورى ز

ليللى : مره ثانية ، ماذا يسمونك ، يا شاب ؟

مايكل : مايكل .

ليللى : مايكل اسم لطيف. أنا عندى مايكل. سيتم ٨ سنوات فى اكتوبر القادم. انكب على كتبك ، يا ابنى .

مايكل : سنراقبة ياليللى . أنا غير مرتاح لهذا الرجل .

(يدخل دودز)

دودز : اذا كنت مولودا فى الحضارة التحية للفقر، فماذا ترث ؟ حسنا ، أنت ترث وضعا اقتصاديا ، وأنت ترث وضعا اجتماعيا سيكولوجيا. السمات الاقتصادية تشمل المسكن البائس ، والصراع الدائم من أجل البقاء ، والنقص المزمن فى النقد ، والبطالة الحادة ، وفى الغالب الأعم ، الجوع الحقيق أو على الأقل سؤ التغذية . وبالطبع فان البيئة الاقتصادية تكيف الىجل نفسيا واجتماعيا ، وذلك حتى يشعر دائما بأنه وضيع ، وهامشى ، بلا حول ، عالة . ارث آخر هوعدم قدرته على التحكم فى رغباته التى نادرا مايرجئ اشباعها ، فهو متكيف مع الوقت الحالى ، لا يخطط ابدا للمستقبل ، ويتحمل ظروفه الآنية زمانا ومكانا فى استسلام واحباط . سبب هذا الاحساس بالهزيمة هو وجود مجموعة من القيم فى الطبقة المسيطرة تؤكد على تكدس الثروة والملكية ، والرغبة فى التحسن وتشرح الحالة

الاقتصادية المتدنية للفقراء على أنها نتيجة عدم الحيلة والتدبير وانعدام الكفاية.

(القاضى يظهر فى الشرفة المفرجة، والعميد جونسون- هانسبيرى يدخل من جهة اليمين. دودز لا يتحرك.)

القاضى : العميد جونسون- هانسبيرى، أنت كنت المسئول عن الأمن فى ذلك اليوم.

العميد : مضبوط، ياسيادة القاضى.

القاضى : هل يمكن أن تخبرنا عن نوع القوة التى كانت تحت أمرتك؟

العميد : اللواء الثامن مشاة، الكتيبة الأولى من فرقة المظليين، الكتيبة الأولى من فرقة الملك الحدودية، وسريتان من الكتيبة الثالثة التابعة للفرقة الملكية للغدارات

القاضى : والمعدات؟

العميد : ١٢ دبابة، و١٠ مصفحات، و٢٤ بندقية، و٤ مدافع مائية، وقدر يسير من التغطية الجوية.

القاضى : وقوة شرطة الستر وفوج الستر الدفاعى؟

العميد : كانوا موجودين، يا سيادة القاضى.

القاضى : تحت قيادتك؟

العميد : كسلطة مدنية.

القاضى : تحت قيادتك؟

العميد : تحت قيادتى

القاضى : أنا نفسى رجل عسكرى قديم، يا عميد، والأمر يبدو على أنه استعراض مهيب لرص الجنود ضد ثلاثة من الارهابيين، مهما بلغت درجة تسليحهم.

العميد : فى ذلك الوقت لم يكن لدينا فكرة عن عدد المسلحين داخل الجيلدهول.
تقاريرنا الأولية أشارت الى وجود أربعين.

القاضى : لكن تلك التقارير لم تكن دقيقة.

العميد : فعلا ، يا سيادة القاضى. ولكن أحب أن اوضح أننا كنا فى موقع مكشوف بين الارهابيين داخل الجيلد هول ، وبين المناطق المحرمة الخاصة بالكاثوليك على الجانبين والخلف.

القاضى : فهمت ، وأنت شخصيا ، أصدرت الأمر للارهابيين من المزعاق ، للاستسلام؟

العميد : فعلا ، يا سيادة القاضى. فى مناسبتين.

القاضى : وبعد ١٠ دقائق تقريبا من المرة الثانية ظهروا؟

العميد : هذا صحيح.

القاضى : أيها العميد ، هناك رأى يتكرر باستمرار ، ولايزال يخيم على التقارير المتعددة عن احداث ذلك اليوم ، وفعلا ، محامى المتوفين ، داخل هذه الجدران ، عبر عنه بشدة وأحب أن اعرف ردك عليه. الرأى يقول بأنه لم تتم أى محاولة للقبض على هؤلاء الاشخاص عندما ظهروا ، وانما تم التعامل معهم « بشكل تأديبى » كما نصت العبارة « ليلقنوا الجيتو درسا ».

العميد : ياسيادة القاضى ، انهم ظهروا للخارج وهم يطلقون النار من الجيلد هول. لم يكن هناك أى امكانية ، أيا كانت ، لتنفيذ عملية القبض عليهم. وقتها فهمنا أنهم مجموعة المقدمة لقوة أكبر بكثير.

القاضى : اذن أنت تستبعد هذا الراى؟

العميد : تماما ، يا سيادة القاضى.

القاضى : ولم تتم محاولة للاعتقال؟

العميد : لأنها لم تكن ممكنة فى تلك الظروف.

القاضى ولوكنت عرفت ، كما علمت فيما بعد أيها العميد ، بان المتورطين هم ثلاثة ارهابيين فقط ، هل كنت تصرفت بشكل مختلف؟

العميد : أوامرى كانت ستكون كما هى ، ياسيادة القاضى.

القاضى : شكرا ، أيها العميد.

(يختفى القاضى. ينصرف العميد جونسون– هانسبيرى جهة اليمين.)

دودز : نحن أفراد الطبقة المتوسطة – مع احترامى ، الناس من أمثالك وأمثالى – نميل للتركيز على الأوجه السلبية لحضارة الفقر. نميل لربط قيم سلبية بسمات من مثل التكيف مع الوقت الحاضر، والتكيف الملموس مقابل المعنوى. الآن ، لا اريد أن اصور حضارة الفقر تصويرا مثاليا ، أو رومانسيا ، كما قال أحد الأشخاص «أسهل أن تمتدح الفقر من أن تعيش فيه» لكن هناك بعض الأوجه الايجابية التى لا نستطيع اغفالها كلية. ان العيش المتكيف مع الحاضر، على سبيل المثال ، ربما يشحذ اتجاه الفرد للتلقائية والاثارة ، للتقييم الحسي ، للانغماس فى النزوات : وهذا الاستعداد ، غالبا ، مايتبلد ، أو يخفف عند ناس مثلنا من المنتمين الى الطبقة المتوسطة ، ولديهم التكيف المستقبلى. لذا ، فانك لكى تعيش فى حضارة الفقر، هو أن تعيش واقع اللحظة – أى – أن تمارس من الوجودية. النتيجة هى أن الناس فى اطار حضارة الفقر يعانون من الكبت بأقل جدا مما نعانى نحن – أفراد الطبقة المتوسطة – وفعلا اذا جازلى أن أطرح الرأى بأهلية مناسبة ، فانهم فى الغالب يستمتعون بقدر من المزاح أكبر بكثير منا نحن.

(دودز ينصرف من الجهة اليسرى.)

(باب غرفة الملابس ينفتح عنوة. سكنر يرتدى روبا عملويا فخما ، وسلسلة ، ويضع على رأسه قبعة مناسبات ضخمة ، وهو فى حالة ابتهاج وزهو. عند الباب.)

سكنر : خدعتها جدا ، أنا لم أتغير الا فى ملابسى !

(يدخل الى قاعة الاستقبال حاملا أروابا . وأغطية رأس للاثنين الآخرين . ليللي تطلق واحدة من شهقاتها .)

ليللي : آه ، يا يسوع ومريم ويوسف !

سكنر : من خلال الملابس البالية تظهر الشرور الصغيرة ، الأرواب والأثواب المكسية بالفرو تخفي كل شئ .

ليللي : ياسبحان الله ، ممكن أن تنظر اليه ! والقبعة ! ما هذه الثياب ، يا سكنر !

(سكنر يوزع الأثواب .)

سكنر : أرواب العمدة ، أرواب أعضاء المجلس التشريعي ، أرواب المستشارين . البسوها ، وسوف امنحكما ، سويا ، حرية المدينة .

سكنر : سكنر ، أنت أحمق !

سكنر : الحفل يبدأ خلال خمس دقائق . صحافة وتلفزيونات العالم بدأت تتجمع بالفعل فى الخارج . انقلاب اجتماعى فى ديرى . ثلاثة أشخاص جريئون أصبحوا أحرارا . اعتذاراتى ، ياسيد هيجارتي ! جريئان ، ماذا جرى لاوركسترا اليتامى !

(يفتح المذياع . مارش عسكرى . عليهم أن يصيحوا لكى يسمع بعضهم بعضا ، ليطغوا على الصوت .)

مايكل : لم نفسك ، يا سكنر .

ليللي : ياربى ، ياثقلهم ! يمكن أن يغطوا اريكتى بمنتهى الجمال . (لمايكل) ألبسه على سبيل الضحك يا شاب .

سكنر : البسوا الأرواب ، سيداتى وسادتى ، وتذوقوا طعم السلطة الحقيقية .

(ليللي ترتدى روبا وغطاء رأس . مايكل ، بامتعاض ، يرتدى الروب فقط . سكنر يمسك بالعلم البريطانى فى يد وبالسيف التشريفى فى الأخرى .)

ليللى : شوفوا ! شوفوا ! أنا مين ! . . .
(ترقص حول الاستقبال .) دى دو- دو- دا- دى دوو- دا- دا- .
(تغنى) انها ليللى[1] فتاة لاجونا ، انها زنبقتى فتاتى أنا و- يارلى ، لو يرانى الصغار الآن !

سكنر : أو الرئيس .

ليللى : هووويا !

سكنر : ليللى ، فى هذا اليوم ، اخلع عليك حرية مدنية ديرى . بارك الله فيك ، يابنيتى . والآن ، يا سيد هيجاتى ، اعتقد أننا سنجعلك عضوا فى مجلس اللوردات مدى الحياة . انهض بالورد مايكل - أوف - الغاز.

ليللى : هذه الكسوة ، مع ذلك ، تجعلك تشعر بالعظمة . تشعر انه بامكانك - بامكانك أن تمنح البركة !

سكنر : افسح الطريق - افسح الطريق للورد والليدى عمدة ديرى كولمسايل !

ليللى : حذائى - حذائى ! لا أستطيع الظهور بدون حذائى .
(مايكل يخلع روبه ، ويجلس . ليللى تنضم لسكنر في عرض تشريفى أمام جمهور وهمي . كلاهما يتظاهر بنبرة فخامة مفرطة . فى سرعة كبيرة .)

سكنر : كيف حالك ؟ سعيد لتمكنك من الحضور .

ليللى : تشرفنا .

سكنر : زوجتى - ليدى اليزابيث .

ليللى : (تطرقع قبلة .) ناس عظمة .

سكنر : لطيف منك أن تأتى .

---

(١) lily تعنى الزنبقة وهو اسم ليللى.

ليللى : زوجي وأنا .
سكنر : استمرى فى الأداء الجميل .
ليللى : شكرا . شكرا .
سكنر : تقومين بدور رائع .
ليللى : اننا فعلا نستمتع بوقتنا .
(سكنر يرفع الزهور ويقدمها الى ليللى .)
سكنر : من سكان تنتاون .
ليللى : أوه ، لّى ! يا جمالها ! (تنحنى لتقبيل طفل)
شكرا ، يا حبيبتى .
(سكنر يتوقف قليلا تحت صورة سير جوشوا ، هو الآن رجل ذو شأن ، عملى ، صارم ، اللهجة تخفت .)
سكنر : هذه هى الحالة التى كنت أكلمك عنها ياسير جوشوا ، ١١ طفلا فى شقة من غرفتين. لا مرحاض ، ولا ماء حار.
ليللى : الا الجارى على الجدران. ها هههها !
سكنر : تعتقد أن عندها مبررا معقولا للحصول على بيت من المجلس البلدى .
ليللى : أنا فى حاجة الى بيتين !
سكنر : اثنان ؟
ليللى : أليس هناك ١٣ فردا منا ؟ كيف تضع ١٣ فردا فى بيت واحد؟
سكنر : (نحو الصورة) عارف. عارف. لا يمكن أن يكونوا راضين.
ليللى : اسمع ! اسمع ! أنا أعرف هذه ! تعرفها ياسكنر؟
سكنر : اليزبيث ، من فضلك .
ليللى : انها خطوتان عسكريتان. كان الرئيس ممتازا فيها. اعطنا يدك ! هيا !
سكنر : اعتقد انك مخبوطة فى مخك .

(تشده الى وسط قاعة الاستقبال . وتغنى وهى ترقص . سكنر يغنى معها .)

ليللى : كنت اتمشى فى غابة بولونيا .
اغنى فى جو انفرادى ،
كان يمكنك تسمع البنات تقول
« مليونير حتما يكون » ،
كان يمكن أن تسمعهن يتأوهن ويتمنين الموت ،
وكان يمكن أن تراهن يغمزن بالعين الأخرى ،
للرجل الذى اقتحم البنك فى مونت كارلو .
(ليللى تسقط مجهدة على كرسى .)

ليللى : آه ياربى ، دخت !

سكنر : جميل ، ياليللى ، جميل .

ليللى : لم أكن راقصة سيئة بتاتا من قبل .

سكنر : والآن ، اللورد مايكل سيتفضل بالقاء محفوظة — لو — من ريديارد كبلنج الذى لا يضاهى «لو كان بمقدورك الاحتفاظ برباط جأشك بينما الجميع من حولك / مرتبكون ، وهم باللوم عليك ملقون . . . وسادتى ، قصيدة تلائم المكان والمناسبة — لورد مايكل أوف الغاز .
(سكنر يغلق المذياع ، ويشعل سيجارا .)

مايكل : لا أعرف ما الذى تدبره . لا أعرف أى نوع من اللعب هذا . لكن اعتقد انى جاد بخصوص هذه الحملة . أنا قطعت ثلاثة أميال اليوم ، وحضرت الملتقى سلمى اليوم ، لأن العدل والانصاف من حق كل انسان ، وهذا هو هدفى من الحملة . لكن هذا . . . هذا . . . هذا الاستغفال ، هذا الاختيال ، كما لو كنت ملكت المكان ، هذه ليست فكرتى عن الاحتجاج السلمى الوقور.

سكنر : (مخاطبا ليللى) أعتقد انه يستحق أن يوقع فى سجل كبار الزوار. ألا يستحق؟

مايكل : أنت تعرفين الغرض من حملتك يا سيدتى انت ترغبين فى بيت محترم. وانت تريدين عيشة أحسن لأطفالك من العيشة التى عاشوها. لكن أنا لا أعرف ما هو هدفه.
لا أعرف ماذا يريد.

سكنر : بونى رابيت يفوز فى السباق واحد لعشرين.

مايكل : آه، هو فعلا، كما قلت، ذلق اللسان. لكن لو انك سألتنى، لقلت لك أنه يشعر بالارتياح مع امثاله من الرعاع، يرمى الحجارة ويحرق المحلات.
(سكنر يصب لنفسه كأسا، ويغنى بهدوء. ثم يطفىء سيجار بتعمد مقصود فى جلد سطح المكتب.)

سكنر : (يغنى) هل تأتين الى قاعة استقبالى،
قال العنكبوت للذبابة،
انها أحلى اصغر قاعة قد رأيتها.

مايكل : انظرى ياليللى، انظرى! أنا قلت لك! أنا قلت لك!

سكنر : الطريق الى قاعة استقبالى من فوق سلم حلزونى
عندى أشياء كثيرة غريبة، لك أريها، عندما تزورينى.

مايكل : انه همجى! انه همجى ملعون!
(سكنر يصب كأسا لليللى.)

سكنر : ليللى؟

ليللى : ستسكرنى — سامحك الله. (لمايكل) جرب هذا النبيذ، يا شاب، انه فاخر.

سكنر : انه شيرى. يا سيد هيجارتى؟
(يستدير مايكل بعيدا ويستعد للمغادرة.)

سكنر : اذن نحن الاثنان — فقط، ياليللى. فى صحة... الوقار.

مايكل : أنا خارج .
ليللى : حان الوقت لنمشى كلنا . انهم فى انتظارى لاعداد العشاء .
(سكنر يجلس ويضع قدميه على المائدة .)
سكنر : هل يمانع أحد لو أخذت سيجارا آخر ؟
(يشعل واحـدا .)
ليللى : على أى حال ، كم الساعة ؟
مايكل : تقترب من الخامسة .
ليللى : رأيت أطفالى ؟ اذا لم أكن موجودة ، فلا واحد يعرف يهش أو ينش . فى مايو من ٣ سنين ، كسب الرئيس ٥ جنيهات من بيع اليانصيب فى « سليت كلوب » . وأنا وديكلان ركبنا الباص الى « باندوران » — أخذته معى لأنه لا يلعب فى الشارع مع الآخرين — ولما رجعنا للبيت فى نصف الليل ، كانوا كلهم موجودين ، بوز كل واحد شبر ، جالسين حول المائدة الخالية ، منتظرين ظهور عشائهم من الساعة ٦ .
مايكل : سأذهب ، ياليللى ، حظ سعيد .
ليللى : مع السلامة ، يا شاب . وداوم على الكتب .
مايكل : (لسكنر) شكرا على سحبك لى للداخل .
سكنر : لي السرور . وفى أي وقت تمر بهذا الطريق ، لا تقترب من الباب .
ليللى : اتمنى لك التوفيق فى فصح الثلاثاء .
مايكل : شكرا . شكرا .
(قبل أن يصل مايكل الى الباب)
سكنر : قبل أن تمشى ، الق نظرة من النافذة .
(مايكل يتوقف ، ينظر الى سكنر ، ثم يتجه الى النافذة .)
سكنر : هل لا يزالون هناك ؟
ليللى : من الذى لا يزال هناك ؟

سكنر : الجيش . (لمايكل) هل انصرفوا ؟
مايكل : المكان مزحوم بهم . وهناك بوليس أيضا .
ليللى : الجيش سيء بما فيه الكفاية ، لكن - سامحنى الله - أنا لا اطيق البوليس .
سكنر : لوكنت مكانك ، لا تنظرت حتى ينصرفوا .
مايكل : وما يضطرنى ؟
سكنر : اذن ، اخرج .
مايكل : وما المانع .
سكنر : اذن اخرج .
مايكل : لم أفعل أي خطأ .
سكنر : كيف يمكن أن تقول هذا الكلام لواحد لف ودار ؟
مايكل : لم أفعل ما اخجل منه .
سكنر : انت شربت ويسكى البلدية . وتنكرت فى زى عضو مجلس . سرقة واحتيال .
مايكل : طيب يا مغرور (يقذف بقطع نقدية على المائدة) هذا للشراب - وهذا - وهذا - وهذا . والآن ، اعطنى سببا واحدا ، وجيها ، يمنعنى من الخروج فورا من هذا المكان ، وعبر ذلك الميدان .
سببا واحدا وجيها - هيا - هيا .
سكنر : لانك ، يا ابنى ، جرؤت على ذلك . لأن هذا خاص بهم ، يا ابنى ، ووجودك هنا فى حد ذاته انتهاك للمحرمات .
مايكل : انهم لا يعرفون أننا هنا .
سكنر : سيرونك ، وأنت خارج ، أليس كذلك ؟
مايكل : اذن ، سيروننى اخرج ، وسيعتقلوننى بسبب هذا التعدى .
سكنر : خذ براندى على حسابى . سينصرفون حالا .

مايكل : أنا بالتأكيد لا أريد أن يقبضوا علّى . ولكن اذا أرادوا اعتقالى بسبب الاحتجاج السلمى ، فلا بأس فأنا جاهز للاعتقال .

سكنر : بامكانهم أن يفعلوا فيك أشياء فظيعة – ان يكسروا ذراعيك ، يلسعوك بالسجائر ، يحقنوك .

مايكل : غاندى أثبت أن العنف الواقع ضد الاحتجاج السلمى ، يفيد قضيتك .

سكنر : أو أن يرموك بالرصاص .

ليللى : الله يسامحك ، ياسكنر . لا فأل خير فى مثل هذا الكلام .

مايكل : طالما ان رد فعلنا لم يكن عنيفا ، طالما اننا لم نسمح لأنفسنا بالاستجابة للاثارة ، فلابد ان نفوز فى النهاية .

سكنر : هل تفهمين نظرية السيد هيجارتى ، ياليللى ؟

ليللى : أنتما – الاثنان – تفهمان أحسن منى بكثير .

مايكل : قلت لك ان إسمى مايكل .

سكنر : السيد هيجارتى من المعتقدين بأنه اذا تظاهر خمسة آلاف واحد منا بشكل سلمى ، وعاجلونا هم وفتحوا علينا النار ، فاننا ، اذن ، اتوماتيكيا . . . فاننا . . . فاننا . . . (لمايكل) آسف هل تعيد ما تقوله النظرية ؟

مايكل : انت فاهم تماما وجهة النظر التى أطرحها ، وتعرف جيدا انها صحيحة .

سكنر : غير صحيحة ، وأنت عارف . ولكن ، سنناقشها فى وقت آخر . وكما قلت اذا كنت مارا بهذا الطريق ، فلا تتركهم يضيفونك فى المكتب الخارجى .

(مايكل يعود الى النافذة ، وينظر خارجا . ليللى تقهقه) .

ليللى : هل ترى منطقتنا ؟ فى هذه اللحظة ، ميكى تيج ، اللبان ينادى من أول الطريق ، « انا عارف انك موجودة ، ياليللى دوهرتى انزلى وادفعى لى حساب الستة أسابيع » ؛ والرئيس جالس عند

المدفأة كقديس صغير نحيف ، اصبعه فى فمه ، والصحيفة المزلية مرفوعة عند أنفه ، وهو يدعو الله أن أتذكر أن احضر له خمس سجائر ، وأنا راجعة للبيت . وتحت منا ، سيليا كيننجهام ، وهى الآن صارت فى نصف حجمها ، وهى تعوى على تذكرة يانصيب لسباق الخيل الايرلندى كانت قد اشترتها وضاعت منها عندما كان عمرها خمسة عشر عاما . وفوقنا ، ديكى ديفن ، يبحث ، تحت السرير ، عن آلته الموسيقية الترومبون وهو لايدرى بعد أن آنى رهنتها يوم الأربعاء ، لتدفع ثمن تذاكر باص الأطفال ، وسوف يطين عيشتها عندما تقول له . وتحت فى الممر ، يسكن اندى بويل ، العجوز ، وهو راقد فى السرير ، لانه لا يملك أى معطف . وانا هنا فى قاعة استقبال العمدة وكأنى فى ثوبى دوقة كنت ، وأشرب النبيذ الأحمر . سأخبرك بشىء ، ياسكنر : هذا عالم ظالم جدا .

(القاضى يظهر فى الشرفة المفرَّجة) .

القاضى : ان واحدة من أهم القضايا التى علينا وضعها فى الاعتبار ، هى الصراع بين شهادة الشهود المدنيين ، وشهادة قوات الأمن فى الرد على السؤال المهم — من فتح النار أولا ؟ أو أصيغه فى عبارة أخرى — هل بدأت قوات الأمن بفتح النار أم أنهم فقط ردوا عليه ؟ لقد سمعنا ، على سبيل المثال ، شهادة الأب بروستان ، الذى حضر المتوفين ، وهو يصر على أنه ولا واحد من الثلاثة كان مسلحا . وليس عندى أى شك فى أن الأب بروستان أخبرنا بالحقيقة ، كما عرفها هو . ولكن لابد ان أوضح أن الأب بروستان لم يكن موجودا عندما ظهر الثلاثة خارج المبنى . وعندنا أيضا دليل الصور ، التى التقطها السيد مونتينى الصحفى ، ولا نستطيع أن نرى فى أى واحدة من تلك الصور الواضحة أى دليل أيا كان — عن وجود أسلحة ، سواء فى أيدى المتوفين ، أو

قريبة من جثثهم ولكن السيد مونتيني يقول لنا بأنه لم يلتقط الصور الا بعد ٣ دقائق على الأقل من توقف اطلاق النار. من ناحية اخرى، عندنا شهادة حلفان لثمانية جنود واربعة من رجال البوليس، قالوا انهم رأوا هؤلاء المدنيين مسلحين، وانما، أيضا، تعرضوا لاطلاق النار عليهم من جهتهم. ولذلك، فعند هذا الحد، أرغب في استدعاء د. وينبورن من ادارة الطب الشرعي العسكري.

(وينبورن يدخل من جهة اليسار. رجل اسكتلندي.)

وينبورن : نعم، ياسيادة القاضي.

القاضي : يا د. وينبورن، في شهادتك السابقة، ذكرت انك قمت بتطبيق اختبارات البارانين على المتوفين. هل بامكانك أن توضح تفاصيل هذه الاختبارات بشكل أكبر؟

وينبورن : بالتأكيد، يا سيادة القاضي. عندما تطلق النار من بندقية، فان الغازات الدافعة تبعثر جزئيات دقيقة من الرصاص في اتجاهين، من خلال فوهة البندقية وعلى مسافة ٣٠ قدما - أمام البندقية، ومن خلال الثغرة. بمعنى آخر، اذا أطلقت النار بمسدس أو سلاح أتوماتيكي، أو من بندقية سريعة الطلقات (يشرح بيده)، فان جزئيات الرصاص هذه، سوف تلتصق بمؤخرة هذه اليد مابين الابهام والسبابة. أحد سمات هذا التلوث. ان هناك توزيع متسق لهذه الجزيئات فوق اليد أو الملابس.

القاضي : ووجود هذا الترسب دليل قاطع على اطلاق النار؟

وينبورن : أنا عالم، ياسيادة القاضي. لا أعرف ماهية الدليل القاطع؟

القاضي : ما أقصده هو، اذا كانت جزيئات الرصاص موجودة على جسم شخص، فهل معنى هذا ان الشخص المقصود، اطلق النار من بندقية؟

وينبورن : جائز ، ياسيادة القاضي . أو محتمل أنه تلوث نتيجة وجوده داخل مسافة ٣٠ قدما من الشخص الذى اطلق النار فى اتجاهه . أو لوجوده بجوار الشخص الذى أطلق النار . أو قد يكون من اطلق النار لمسه أو أمسك به بعد الاطلاق مباشرة .

القاضي : فهمت . وهذه التمييزات لها أهمية قصوى ، لاننا عند هذا الحد ، لابد وأن ندقق جدا فى التفاصيل ، بما لايدع مجالا للشك . شكرا ، ياد . وينبورن على شرحك المحكم لهذه التفاصيل ، اذن ، لو أردنا أن نحدد اذا ماكان الرصاص الموجود على يد شخص أوملابسه ، هو بالقطع ، نتيجة اطلاق هذا الشخص للنار من سلاح ما ، فلابد وأن نسترشد بنموذج الترسب . مضبوط ؟

وينبورن : نعم ، يا سيادة القاضي .

القاضي : والآن ، نرجع لتقريرك – لنتائج فحوصك على المتوفين الثلاثة .

وينبورن : فى حالة فيتزجيرالد – موجودة فى صفحة ٤ ، ياسيادة القاضي .

القاضي : ها هى ، شكرا .

وينبورن : فى حالة فيتزجيرالد ، هناك مسحة على اليد اليسرى ، وعلى الكم الأيسر للقميص ، فى حالة المرأة دوهيرتى ، فعلامات التلوث موجودة على الخد الأيمن والكتف . وفى حالة هيجارتى ، موجود ترسب مستو على ظهر اليد اليسرى ، وبين الابهام والسبابة .

القاضي : ترسب متسق ؟

وينبورن : ترسب متسق ، ياسيادة القاضي .

القاضي : اذن هيجارتى بالتأكيد ، أطلق النار من سلاح ؟

وينبورن : اسمح لى ، ياسيادة القاضي ، ان أصيغ كلامى بهذا الشكل : أنا لا أستطيع أن أفسر وجود الترسيب المنتظم عليه مالم يكن قد فعل .

القاضى : وفيتزجيرالد ، والمرأة دوهرتى ؟

وينبورن : محتمل أنها تلطخا من هيجارتى ، أو أنها تعرضا للتلوث عندما كان الجنود، الذين أطلقوا النار عليها ، ينقلونها بعيدا .

القاضى : أو باطلاقهما ، هما ، النار .

وينبورن : هذا ممكن .

القاضى : ولكنك متأكد أن هيجارتى ، على الأقل ، قد أطلق النار ؟

وينبورن : هذا ما تشير اليه الاختبارات .

القاضى : وأنت ، شخصيا ، مقتنع أنه فعل ؟

وينبورن : نعم ، أعتقد أنه فعل ، ياسيادة القاضى .

القاضى : شكرا ، يا د . وينبورن .

(القاضى يختفى . وينبورن ينصرف) .

مايكل : هناك ثلاث دبابات أخرى قادمة. ويبدو انهم يثبتون كشافات ، أو ماشابه

سكنر : أنت نائمة ، ياليللى ؟

ليللى : تعرف ما الذى سمعته من رجل فى التلفزيون ، فى ليلة من الليالى؟ هل ترى الرجال الذين يطلعون الى الفضاء الخارجى؟ عال ، انهم لايشيخون هناك بالطريقة التى نشيخ نحن بها هنا تحت. وأيا كانت الطريقة التى تدور بها الساعات هناك فاننا نكبر فى السن عشر أضعافهم .

سكنر : أنت منجم حقيقى للمعلومات ، ياليللى .

ليللى : ولذلك ، لو طلعت أنا هناك وبقيت مدة طويلة ، ونزلت هنا مرة ثانية ، ياربى ، ربما يصير عمرى عند نفس عمر مارك أنتونى !

سكنر : مهما طالت مدتك هناك ، فستكون اسرتك فى انتظار العشاء .

ليللى : أنا مستعدة أن أدفع أى شيء مقابل أن أرى وجه الرئيس لو حدث ذلك .

سكنر : ليللى .
ليللى : ماذا ؟
سكنر : لماذا لا تتصلين بأى شخص فى التليفون ؟
ليللى : بمن ؟
سكنر : أى شخص .
ليللى : هذا الشاب طار عقله . لماذا بالله ، أتصل بأى شخص؟
سكنر : تتمنى لهم كريسماساً سعيدا ، تستفيدين من تسهيلات الفندق . مجرد استخسار.
أى واحد فى الشارع عنده تليفون ؟
ليللى : أكيد كلنا عندنا تليفونات فى كل غرفة . ها هههها !
سكنر : من اين تشترين بقالتك ؟
ليللى : بيلى برودريك .
سكنر : اتصلى به .
ليللى : طبعا ، هو فى الناحية المقابلة منى .
سكنر : قولى له ان الشاى نفد عندك .
ليللى : اليس فيك دماغ ، يا شاب؟ سيظن انى أخشى أن أراه ، فقط لأنى مدينة له بمبلغ ١٥ جنيها .
سكنر : لابد انك تعرفين شخصا عنده تليفون .
ليللى : د. سوينى !
سكنر : لا شك ، أى واحد يعمل فى محل - مصنع ؟
ليللى : لا .
سكنر : فى جراج - قهوة - مكتب - فى -
ليللى : بيجو بيتى .
سكنر : من ؟
ليللى : بيتى برين . ابنة عم الرئيس . تعمل فى شباك التذاكر فى سينما بيجو. نناديها بيجو بيتى .

(سكنر يقلب دليل التليفون– مايكل يستدير نحو المسرح العلوى) .

ليللى : كانت معتادة أن تدعو أطفالى لحفلة ماتينيه السبت مجانا . وفى يوم سبت ، كان ابننا توم– هل رأيت ابننا توم؟ سيبلغ ١٦ سنة فى ٢٣ اكتوبر القادم ، ولا يهمه انس ولا حيوان– طلع لها بعد الفيلم ، وقال لها انه أغبى فيلم رآه فى حياته . تعرف ماذا جرى؟ اعتبرت أن الموضوع شخصى . ولم تحضر لهم دعوة مجانا بعد ذلك أبدا . بيتى ، فعلا متكبرة .

سكنر : (يدير القرص) ٧٤٧٩٣٣٦ .

ليللى : ماذا تنوى؟ أنا فعلا ، رأيتها عند الجدة يوم الأحد ، فى الاسبوع الماضى .

(سكنر يناولها سماعة التليفون) .

ليللى : ماذا سأقول ؟ ماذا بالله سأقول لـ ؟

(لهجتها وطريقتها تتسمان فجأة بالاصطناع) .

ليللى : هالو؟ انت الانسة بيتى برين؟ أنا السيدة اليزابيث دوهرتى . نعم– نعم– ليللى . كيف حالك من وقت أن تقابلنا آخر مرة ، يابيتى؟ لا ، لا ، هو بخير ، شكرا ، بخير– فيما عدا صدره . لا ، أنا صحتى بخير، أيضا ، يابيتى ، شكرا . حدث فقط انى تقابلت صدفة مع بعض الرفاق قرب تليفون ، وجاء اسمك فى حديث عابر ، وخطر على بالى أن اقول لك كيف الحال . نعم . نعم . طبعا ، يابيتى ، لن اعطلك أكثر من هذا ، يابيتى . أنا متأكدة انك مشغولة بتحصيل الفلوس . مع السلامة . لا ، الكشك مازال مكسورا . أنا أتصل من قاعة استقبال العمدة .

(فجأه تصفق السماعة ، وتغطى وجهها بيديها) .

ليللى : يايسوع ، ياشاب ، اعتقد أنه اغمى عليها . اوووبسا !

سكنر : هذه بداية عظيمة . من هناك أيضا ؟

ليللى : على مهلك ، دقيقة واحدة حتى أهدىء نفسى ، ممكن ؟ أنا لا استأهل بنسين انظر ليديّ (الزجاجة تهتز فوق الكوب ، وهى تصب لنفسها كأسا) ألم اقل لك؟

سكنر : أنا أحب لهجتك الأنيقة ، ياليللى .

ليللى : امسك لسانك . ليللى ليست فلاحة جلفة . انتظر حتى احكى لك : مرة ، عندما كان الرئيس فى مستشفى الدرن ، وزرته لأقول له ان جلوريا وقعت من على السطح - هذا الكلام كان من ١٨ شهرا ، كان عمرها أربع سنين ونصف وقتها - ممرضة الجناح التى تكلمت معها ، سألت الرئيس من هى الأنيقة التى تزوجتها !

مايكل : أحب أن تعرفا انتما - الاثنان - أننى معترض على هذه السخافة .

ـ : طبعا ، هذا بعض المزاح البرىء ، يا شاب . ألا تشارك فيه أبدا؟

(تفحص الزجاجة .) ماذا تسمى هذا النبيذ الأحمر؟

سكنر : انه شيرى .

ليللى : سأسعى للحصول على زجاجة منه في الكريسماس القادم .

سكنر : من أيضا تعرفين ، ياليللى؟ أى اصدقاء؟ أقارب؟

مايكل : أنت تتصرف تماما حسب ظنهم عن تصرفاتنا .

ليللى : حسب ظن من ؟

سكنر : لك أى أعمام؟ أخوة؟ أخوات؟

ليللى : عندى اخت واحدة - آيلين .

سكنر : موجودة فى دليل التليفون ؟

ليللى : موجودة .

سكنر : آيلين ماذا ؟ ما اسمها الثانى ؟

مايكل : لا عجب انهم لا يثقون بنا – نحن لا نستأهل الثقة.

ليللى : لن تجدها فى هذا الدفتر.

سكنر : من البدالة ، اذن.

ليللى : لا ، لن أتصل بآيلين. سيخطر على بالها وقوع شيء فظيع.

مايكل : وحتى اذا لم يكن عندكما احساس بالرزانة ، فعلى الأقل ، لابد أن تعرفا أن هذه سرقة ، الا اذا كنتما تنويان ترك الفلوس.

ليللى : اسمع ، يا شاب : أنا لا أحتاج منك ولا من أى شخص آخر أن يعرفنى ما هو الصح ، وما هو الغلط.

(لسكنر) ناولنى هذا.

(سكنر يناولها التليفون)

ليللى : كيف تطلب البدالة ؟

سكنر : اطلبى ١٠٠ ، واعطى رقمك.

ليللى : أنا لم أقل أننى لن أترك الفلوس ، أنا قلت؟ وأنا ايضا أفهم الأخلاق كالآخرين.

(فى التليفون) البدالة هذا رقم ٧٦٤٣٢٢٥ ، مدينة ديرى ، ايرلندا الشمالية اريد الاتصال بالسيدة آيلين اودونل ، ٢٧٥ ريفيرواى درايف . . . ستوصلنى بالاستعلامات . اذا لم يكن عندك مانع ، سآخذ كأسى. شكرا. الاستعلامات؟ الرقم ٧٦٤٣٢٢٥ ، مدينة ديرى ، ايرلندا الشمالية. اريد الاتصال بالسيدة آيلين اودونل ، ٢٧٥ ريفيرواى درايف– نعم– ريفيرواى– ريفيرواى– (تتخلى عن لهجتها) يارلى ، هل انت صاح يا صغيرتى ؟ ريفيرواى درايف ، بريسبين ، استراليا.

(تضع السماعة) ستتصل بى فيما بعد.

(سكنر يضحك ، ويخبط المائدة فى سرور)

سكنر : أنت رائعة ، ياليللى ! الرئيس تزوج ملكة . هل يستأهلك ؟
(العميد جونسون- هانسبيرى يدخل من جهة اليمين- يتكلم من مكبر للصوت . يحرسه ثلاثة جنود مسلحون .)

العميد : انتباه ، من فضلكم ! انتباه !

مايكل : اسمعا !

ليللى : وعندما آخذ نفسى ، ربما أعطى «آلو» لأبن العم وليم فى الفلبين .

مايكل : اخرسا ! اسمعا ! اسمعا !

العميد : العميد جونسون- هانسبيرى يتكلم . نحن نعرف بالضبط أين أنتم ، ونعرف انكم مسلحون . انصحكم بالاستسلام ، الآن ، قبل أن تزهق أرواح . لذلك ، ضعوا أسلحتكم جانبا ، وتقدموا الى المدخل الأمامى ، رافعين أيديكم فوق رؤوسكم . أكرر- تقدموا الى المدخل الأمامى ، وأياديكم فوق رؤوسكم . مبنى الجيلد هول محاصر تماما . أحثكم على اتباع هذه النصيحة قبل أن تزهق أرواح .
(العميد ينصرف . الجنود يتبعونه) .
صمت .
ليللى تقف على قدميها . سكنر يقف على قدميه .
فترة صمت .

ليللى : أسلحة ؟ ما هذا التخريف الذى يقوله ؟

سكنر : لهجته تقريبا ، بنفس أناقة لهجتك ، ياليللى-
(فترة صمت) .

مايكل : لابد وأن ابن حرام قد فعل شيئا ليضايقهم- هتف بشىء ، رمى حجرا ، أحرق شيئا ، واحد همجى ملعون ! واحد مثلك ، يا سكنر ! لأن اولاد الحرام أمثالك ، الملاعين ، هم الذين يدفعوننا جميعا الى الركوع على ركبنا اللعينة !

الفصل الثانى

بعد وقت قصير .

قاعة الاستقبال تقريبا فى حالة اظلام .

مايكل ، ليللى ، وسكنر يقفون على مقربة من الأماكن التى كانوا فيها عند افتتاح الفصل الأول . لا يتحركون .

يقف المغنى الشعبى عند الجهة الخنى من المسرح ، ووراءه عازف الأكورديون التابع له . وكما ظهر من قبل ، فهو يمسك بكأس فى يده . من قبل كان سكره عدوانيا ، هذه المرة فى سكره لمسة حزن باكية . يرتدى بدلة داكنة ورباط عنق أسود . يغنى (فى صحة كيفين بارى) :

المغنى : فى ميدان الجيلد هول ، ذات أمسية مشمسة ،

أطلقت النار على ثلاثة متطوعين من ديرى .

اثنان كانا فى عز الشباب ، وأما كانت الثالثة ،

كانت الرصاصة الساكسونية نصيبهم .

كان لهم موقف ضد القهر ، كانوا يريدون

«الأم ايرلندا» حرة .

دماؤهم الآن تصبغ أرصفة الجيلد هول ؛

صليب واقف هناك يراه الجميع .

لن ننسى هاتيك الأمسية المشمسة ،

ولا أسماء اولئك الثلاثة الشجعان —

الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل غايتهم —

«الأم ايرلندا» واحدة ، حرة .

انضموا الى صفوف الأبطال الراحلين من بعيد الزمان ،
ضحايا انجلترا ، كل واحد وكلهم .

ذكــراهم بيننا ، لا تزال تقودنـــا ، شجاعتهــم فينـــا
لنسترجع مــا جرى .
(المغني الشعبي ينصرف. القاضي يظهر فى الشرفة المفرجة.)

القاضي : ان كفة الأدلة الراجحة التى ظهرت على مدى الأيام القليلة الماضية ، تبدو انها توجه هذا التحقيق نحو جهتين منفصلتين– أولها ، يتعلق بما قد يبدو للوهلة الأولى أنه مجرد تخمين. ولكن هذا يمكن أن يكون عنصرا مهما جدا ، كما أعتقد لأى محاولة فهم للمسح الشامل للدلك السبت– وأشير الى أن الهدف الذى كان يسعى اليه الثلاثة باستخدامهم للجيلد هول ، المركز العصبي لبلدية مدينة لندن ديرى ، انما هو مخططهم للتحدى. والجهة الثانية– الأكثر حساسية للتأييد أو الدحض ، حسب ظنى– تتعلق بالاسلحة التى قيل أن المتوفين قد استخدموها ضد الجيش. واعتقد ، أيضا ، ان هاتين النقطتين يمكن أن تشكلا وجهين مختلفين لنفس السؤال.

لماذا مبنى الجيلد هول؟ ان محامى المتوفين يدفع باصرار، للاقناع بأنه، فى أثناء الهرج والمرج الذى أعقب التجمع العــام ، سعى الثلاثة ، نتيجة فزعهــــم الى أقرب مخبأ ممكــن ، وتصــادف أن تكون الجيــلد هــول هى هــذا المــلاذ – أى أنه اختيار جبرى .

هذا محتمل ولكنى أجد من الصعب الاقتناع بأنه من بين كل المبانى المجاورة لهم ، يتصادف انهم يختارون المبنى الوحيد ، الذى كان يمثل لهم رمز نظام الحكومة التى كانوا يعارضونها ،

وكانوا بالفعل ، في ذلك الوقت ، يتظاهرون ضدها بشكل غير قانوني . واذا كان الاختيار جبريا ، فلماذا شُوه المبنى ؟ لماذا أفسد أثاثه ؟ لماذا تسجيلاته ؟ هل كانوا يشوهون بيتا خاصا بنفس الطريقة ؟ أعتقد أن الاجابات على هذه الأسئلة تشير الى نتيجة واحدة : ان المتوفين اختاروا هذا المبنى عن عمد ، وان هدفهم ، ونواياهم ، كانت قاطعة ، ومتعمدة . بمعنى آخر ، أن تصرفهم كان عملا من أعمال التحدى المدبرة بعناية ، واثاره للآخرين لاعلان تحديهم ضد سلطات القانون والنظام ، والشرعية ، وليس هناك نتيجة اخرى تتفق مع هذه الحقائق .

(عندما يتكلم مايكل ، وليللى ، وسكنر ، فانهم يتكلمون فى هدوء ، بدون عاطفة ، وبلهجات عادية) .

مايكل : لقد خرجنا الى الباب الأمامى كما أمرنا ، ووقفنا على درجة السلم العلوية ، وأيادينا مرفوعة فوق رؤوسنا . سلطوا على وجوهنا أضواء كاشفة ، ولكن استطعت ان أرى حدود اشكالهم ، وهم يربضون جنب دباباتهم . أنا ، حتى ، سمعت قرقعة زناد بنادقهم . ولكن لم يكن هناك مبرر لاطلاقهم النار . كنت أعرف انهم لن يفتحوا النار . اطلاق النار يتم وفق نظام مختلف تماما للأشياء . ثم انهمرت النيران على ميدان الجيلد هول ، وأدركت ان غلطة فظيعة وقعت . وصرت هائجا جدا ، لا لأنى كنت احتضر ، ولكن لأنه كان هناك ادراك للخطأ وموافقة عليه . فمى حاول اخراج كلمة خطأ - خطأ - خطأ . هكذا كانت طريقة موتى . فى عدم تصديق ، فى دهشة ، فى صدمة . كانت طريقة غبية يموت بها انسان .

ليللى : فى اللحظة التى وضعنا فيها قدمنا خارج الباب الامامى ، عرفت أننى سأموت ، بالغريزة ، بالطريقة التى يعرف بها

الحيوان . يايسوع ، انهم سيقتلوننى . لحظة ألم لاغير. الا أنه تبعها ، وغلب عليها ، وأغرقها ، موجة عالية من الندم ، ليس على نفسى ولا على أسرتى ، ولكن على هذه الدنيا التى خدعتنى .

والآن انتهى كل شىء . كل شىء مر بسرعة ، ولم اختبرها أبدا . وفى السكوت ، وقبل أن يتبعثر جسمى فى زلزلة حمراء قانية ، خطر لى انى لمحت نتفة حقيقة : ان الحياة ضللتنى ، لأنه لم يحدث ولو مرة واحدة طول مدة عمرى فى الـ ٤٣ سنة أن تجربة ، أو حدثا ، أو حتى امرا تافها ، قد تم عزله ، وتقييمه ، وفى وضع وتفصيله . وحقيقة ان تجربتى الأخيرة هذه ، قد تحددت بهذا المفهوم ، فهذا هو قمة أسى . بشكل ما أنا مت من الحزن .

سكنر : بعد فترة قصيرة من معرفتى أننا فى قاعة استقبال العمدة ، أدركت انه لابد من دفع الثمن . ولما أمرونا مرة ثانية ان نضع أسلحتنا جانبا ، بدأت أشك فى نوعية هذا الثمن لانهم لايتركون أى شىء للصدفة ، ولأن الفقراء ، دائما ، يحملون فوق طاقتهم.

ولما وقفنا على سلم الجيلد هول ، كان يتسابق فى ذهنى فكرتان : طريقة الجد الشديدة التى تعاملوا بها معنا ، وطريقة لا مبالاتنا التى لا تغتفر ناحيتهم ، وانه لكى نجارى جديتهم ، كان لابد أن يتطلب ذلك تهيئة كاملة ، بوقار رسمى كوقارهم . ثم ذاب كل شىء ، وانصهر فى بوتقة حرارة عالية . وكان تفكيرى الأخير هو : اذا كنت ستقرر أن تقبل تحديهم ، ياادريان كاسيمير ، فلابد وان تصلح من شأنك . وبهذا الشكل أموت ، كما عشت ، فى ذلاقة لسان دفاعية .

القاضى : ونأتى الآن الى النقطة الثانية – هل كان المتوفون مسلحين؟ محاميهم يصر على أنهم لم يكونوا . وقوات الأمن تصر على أنهم

كانوا . فان كانوا قد فتحوا النار على الجيش ، فان محاميهم يسأل بمنطق معقول ، لماذا لم تقع اصابات فى صفوف العسكر ، وحتى نكون أكثر صلة بالموضوع ، ماذا حدث لأسلحتهم . على هذا يرد الجيش بأن الأسلحة قد سربها الغوغاء ، الذين تجمعوا . محامى المتوفين ينفى هذا بشدة . يقول بأنه لم يسمح لأى مدنيين بدخول ميدان الجيلد هول ، الا بعد ساعة من اطلاق النار . وقوات الأمن تقول ان هذا غير صحيح ، وتشير على سبيل المثال – الى القس ، والصحفى ، اللذين كانا بجوار المتوفين مباشرة بعد خمس دقائق من اطلاق النار . ولذلك ، وعلى ضوء هذا التخبط المربك ، فأنا أرغب فى استدعاء الباثولوجى ، بروفسور كابلى ، صباح الغد .

(القاضى يختفى . مايكل ، وليللى ، وسكنر ، يخطون الى الخلف بسرعة ، الى داخل قاعة الاستقبال . مايكل يذهب الى غرفة الملابس . سكنر يملأ علبة سجائره الفارغة من الصندوق الفضى على المائدة . ليللى تتحرك بين أرجاء قاعة الاستقبال فى هيئة تأدية عمل – تثبت الكراسى ، تفرغ طفايات السجائر . تضىء المكان .)

ليللى : هذا أحسن . أنا ضعيفة جدا بالنسبة للضوء . لا يهمنى البرد ، لكن لا أحب الظلمة .
(تخلع روبها ، وتفحصه .)

ليللى : سأخبرك بشىء ، يا سكنر : انها خطيئة تصدم الواحد ، ان تكون هذه الأشياء الجميلة ، مركونة بلا فائدة فى دولاب – وهى جديدة على حالها يوم شرائها . انظر – لم ينسل منها كم ، ولا أى شىء .

سكنر : هذا فيه خدش على الكتف –

ليللى : لماذا تلبسه اذن؟ ناوله لى ، يامغفل! خذ قيصك. وهذا الحذاء لابد أنه جف الآن .

(سكنر يخلع الروب ، ويرتدى القميص الجاف. لايزال يرتدى القبعة).

ليللى : تعرف ، ماذا يمكن أن يعمل منه؟ «روب دى شامبر» مدفىء ، فخم . وهذا مايحتاجه الرئيس أوقات خروجه ، وهو فى مستشفى الصدر. أليس كذلك؟

سكنر : خذيه معك .

ليللى : ألن يكون منظرى غريبا ، وانا أمشى فى الشارع ، وهذا على ظهرى! كوقت أن كان البوليس يلاحق الملاكم برانيجان ، وهو يسوق لورى البنزين . هل تعرف الملاكم ؟

سكنر : العجوز واحد اثنان ثلاثة– واحد اثنان ثلاثة....

ليللى : والملاكم يقول لهم : «أنا كنت فقط اريد ملء ولاعتى» اين الآخر (الروب) ؟

سكنر : خلفك .

ليللى : هذا الشاب– مرة ثانية ، ماذا يسمونه ؟

سكنر : مايكل

ليللى : بالضبط . شاب واعى جدا هو .

سكنر : حبوب .

ليللى : أنا عندى مايكل بين ديكلان وجلوريا . استاذه يقول أنه فعلا ينبض بالذكاء مثل الرئيس .

(سكنر يذهب الى النافذة ، وينظر خارجا . ليللى تراقبه لبضعة ثوان) .

ليللى : هل العمة حية أم ميتة ، ياسكنر؟

سكنر : ميتة. لها عشر سنين.
ليللى : الله ينزل رحمته على روحها الطيبة. واين تسكن؟
سكنر : فى أى مكان. كل مكان. على قولهم. لا عنوان ثابت لى.
ليللى : وطبعا، اذا لم يكن لك عنوان ثابت، فلا يمكنك طلب اعانة بطالة.
سكنر : صحيح.
ليللى : وكيف تعيش؟
سكنر : بفهلوتى.
ليللى : ولكن اذا جرى لك أى شئ —
سكنر : اذا مرضت، فكل حكمة الشئون الصحية تكون فى خدمتى. واذا مت، فسيقوم أهل الاحسان بدفنى دفنة ملوكى. الحالة الوحيدة التى أكون فيها مشكلة فعلا، هى وجودى حيا معافى.
ليللى : أليس هذا غريبا؟ وعلى كل، فان الدفنة الأبهة شئ لطيف.
سكنر : عظيم.
ليللى : وكل ما عليك هو أن تسرح فى المدينة طول اليوم؟
سكنر : أحيانا، أخرج منها. الى انجلترا. اسكتلندا. حياة الرحالة.
(ليللى تستمر فى طى الأرواب)
ليللى : لا يمكننى تقديم سرير لك، يا سكنر، لأن هناك ستة فى غرفة، وسبعة فى الثانية.
ولكن بامكانى توفير شئ على ما قسم، تأكله فى معظم أيام الاسبوع.
(فترة صمت. فجأة يلتقط سكنر سيف التشريفة)
سكنر : خذ حذرك؟
(يبارز خصما وهميا.)

ليللى : لو شعرت بقرصة جوع.
سكنر : اتفقنا.
ليللى : ولوكنت أنا فى الخارج أعمل، فالرئيس دائما موجود.
سكنر : جميل.
ليللى : أنت تعرف المحطة القديمة. نحن نسكن هناك. هو مخزن تحول الى بيت .. الدور الثالث.
سكنر : يعجبك فنى؟
ليللى : ماذا؟
سكنر : طريقة مبارزتى بالسيف.
ليللى : جميلة.
سكنر : ما رأيك فى أدائى؟
ليللى : عظيم.
سكنر : شكرا، ياليللى.
ليللى : تحارب من؟
سكنر : فى هذه اللحظة، الجيش البريطانى.
ليللى : الله يعينهم.

(ليللى تستكمل شؤونها المنزلية. سكنر يستمر فى المبارزة بالسيف لبضعة ثوان، ثم يتوقف.)

سكنر : ليللى.
ليللى : ماذا؟
سكنر : هل لها أى علاقة بنا على الاطلاق؟
ليللى : ما هي؟
سكنر : هذه المسيرة - الاحتجاج - المظاهرة؟
ليللى : تتكلم عن أى موضوع، يا شاب؟
سكنر : هل هى تخصنى، وتخصك، وتخصه - لوكان عرف أى شئ عنها؟

ليللى : ما هذا التخريف ؟ انها من أجلنا ، أليس كذلك ؟

سكنر : الأطباء ، والسباكون والمدرسون ، والمحاسبون ، أكتافهم فى أكتاف بعض – هل هؤلاء هم نحن ؟

ليللى : لا تسألنى عن شئ ، يا شاب . ليس عندى دماغ . كل ما أفعله هو المشاركة فى المسيرة . لو أردت أن تعرف لماذا عليك أن تخرج فى مسيرة ، فاسأل الوعل الموجود فى الداخل .

سكنر : لماذا تخرجين فى المسيرات ؟

ليللى : أنا ؟

سكنر : لماذا خرجت فى المسيرة اليوم ؟

ليللى : بالتأكيد كل واحد اشترك اليوم .

سكنر : ولماذا خرجت انت ؟

ليللى : لنفس السبب ، كأى شخص آخر .

سكنر : كلمينى عن أسبابك .

ليللى : أسبابى لا تختلف عن أسباب أى واحد ثانى .

سكنر : كلمينى عن أسبابك انت .

ليللى : رجل واحد – صوت واحد – هذا ما أريده – عارف – رجل واحد – صوت واحد .

سكنر : حصلت على هذا من ٦ شهور مضت .

(فترة صمت .)

ليللى : أكيد أنا أعرف ذلك . طبعا ، أعرف أننا حصلنا عليه .

سكنر : اذن ، ليس هذا ما تخرجين لأجله فى المسيرات ؟

ليللى : تقسيم اقليمى – هذا شئ آخر – لا تقسيم اقليمى – هذا ما اريده – لا تقسيم اقليمى . والحقوق المدنية لكل فرد – هذا ما أريده – عارف – الحقوق المدنية – الحقوق المدنية – لهذا أنا أشارك فى المسيرات .

سكنر : أنا لا أصدق كلمة من هذا ، ياليللى ؟

ليللى : اذن ، أنا كذابة ؟

سكنر : ولا انت أيضا يا ليللى

ليللى : تتهمنى بالكذب ، هذا قصدك ؟

سكنر : سأخبرك لماذا تشاركين فى المسيرات .

ليللى : ليس الا أن يقول لى أن اسمى ليس ليللى دوهرتى .

سكنر : لانك تعيشين مع ١١ طفلا ، وزوج مريض فى غرفتين لا تصلحان للحيوانات . لانك تعيشين على اعانة حكومية ، تكاد تكفى لوجودك حية ، ولكن أقل بكثير من أن تسد رمقك . لانك تعلمين بأن أطفالك قد حشروا فى نفس المستنقع . لانه لأول مرة فى حياتك تذمرت ، وتذمر شخص آخر ، ثم آخر ، وسمعتم بعضكم ، وأصبحتم واعين بأن هناك مئات ، الوف ، ملايين من عينتنا فى كل أرجاء الدنيا ، وبطريقة غامضة تلمست سبيلك الى الغضب الثائر . هذا هو كل ما فى الموضوع ، ياليللى . لا علاقة له بالأطباء ، أو المحاسبين ، أو المدرسين ، أو الكرامة ، وشرف الكشافة انها عنا نحن — الفقراء — الأغلبية — نتململ فى نومنا . واذا لم يكن هذا هو كل ما فى الموضوع ، فلا علاقة له بنا ، اذن .

(ليللى تحملق فيه . فترة صمت .)

ليللى : أظن انك على حق .

(يتحول الى ذلاقة لسان .)

سكنر : لذلك أنا أرجوك ، عندما تذهبين الى دائرة الانتخاب تلك ، أن تضعى علامة × أمام اسمى . وتتأكدى ان أطفالك أيضا سوف يستمتعون بحرية المدينة . والآن أعتقد اننا سنحظى بكأس لوعثاء السفر يا ليللى

(يذهب الى الكابينة)

سكنر : دعينا نخطو نحو المستقبل بعيون محتقنة بالدم، وبخطوات بلا ضابط.

(فترة صمت.)

ليللى : هل سمعت من قبل حكاية عن طفل منغولى، يا سكنر؟

سكنر : أين خبأت البراندى؟

ليللى : أنا كذبت عليك بخصوص ابننا ديكلان. هذه هى حقيقة ديكلان–ديكلان، ابننا ليس فقط من النوع الخجول، ولكنه منغولى أبله. (تجد زجاجة البراندى وتناوله اياها.) وأنا من أجله، أخرج فى كل مسيرة للحقوق المدنية. أليس هذا غباء؟ أنت وهو (مايكل) وكل واحد آخر يخرج فى مسيرة ليحتج على أشياء معقولة كالسياسة ومواد الاستهلاك، وأنا فى وسطكم كلكم، أخرج فى مسيرة من أجل ديكلان. أليس هذا أغبى شيء سمعته من قبل؟ بالتأكيد، بامكانى، أن أخرج فى مسيرة، وأحتج من هنا الى دبلن، ولكن، طبعا، أى نفع سيعود على ديكلان؟ أنا غبية وكل شيء، أنا عارفة. ورغم ذلك، لا زلت أخرج فى المسيرات كل سبت–لا زلت أخرج فى المسيرات. أليس هذا أغبى شيء سمعته من قبل؟

سكنر : لا.

ليللى : هذا ما قاله الرئيس عندما–أنت عارف–عندما حاولت أن أقول له عما يدور فى بالى. لا يتكلم عنه أبدا. لا يستطيع حتى أن ينظر اليه. وذلك اليوم، هذا ما قاله «انت عظام كلبة غبية» لا عجب أن الولد، هو أيضا، هيكل عظم غبى؛ الرئيس–هذا ما قاله.

(تتوقف فجأة، كما لو انها قوطعت، سكنر يذهب اليها، ويضع كأسه فى يدها.)

ليللى : آه، رحمتك يارب.

(القس يظهر فى الشرفة المفرجة.)

القس : فى الساعة الحادية عشرة من صباح غد، يقام فى هذه الكنسية قداس مهيب، لارقاد أرواح الاشخاص، الثلاثة، الذين أغرق موتهم هذه الأبرشية فى حزن ذاهل عميق.

وكما تعلمون، فى الغالب، فقد كان لى شرف القيام بطقوسهم الأخيرة. وان معرفتنا بأنهم ما ذهبوا للقاء خالقهم غير متأهبين، هى عزاء لنا جميعا. ولكنه، من الطبيعى، اننا لابد وأن نتفجع عليهم حزنا. ولكنه من الطبيعى ومن صحيح الأمور، أيضا، أن هذا الحدث المأساوي، لابد وأن يجعلنا نتوقف ونقلب الأمر، ونسأل أنفسنا السؤال الملح جدا: لماذا ماتوا؟

كون أن هناك مساوئ معينة فى مجتمعنا، فهذا شئ لا انكره. ولا انكر أيضا أن الفرص للعمالة المربحة، للسكن المحترم، للتصويت الفعال، كانت فى أوقات معينة أقل من متكافئة. وبسبب تلك المساوئ، جاء رجال ونساء أمناء، رجال ونساء وقورون، وشكلوا نواة حركة سلمية، وقورة، والتى استوجبت الاحترام، لا من هذه المدينة وهذا البلد فقط، وانما احترام العالم كله. ولكن رغم ان هذه الحركة كانت، بداية، سليمة وقورة، فكما تدركون جيدا، اندست فيها عناصر شر أكيدة. فأفسدوها، وفى النهاية سمموها، مما أدى الى أن تصبح، منذ فترة طويلة، أداة الفساد.

من هم هؤلاء الأشرار؟ سوف أتكلم، وأتكلم على المكشوف. لهم ألقاب كثيرة، وشعارات عديدة؛ ولكن يجمعهم هدف واحد، وهدف واحد فقط — أن يسلموا هذا البلد المسيحى الى الغياهب المظلمة لشيوعية لا تعرف ربا. أنا لا ألمح للحظة واحدة الى أن هؤلاء الثلاثة الذين ماتوا أمس

كانوا جزءا من هذه المؤامرة ، أو أنهم كانوا واعين بأنهم ضحية لها . ولكنهم ضحايا قد كانوا . والى هؤلاء الذين يتغزلون ، من بينكم ، بمبادئ الثورة ، دعونى استشهدلكم من هذا الكتاب المحتوى على أكثر المبادئ ثورية – من موعظة الجبل : «طوبى للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض»[1]

باسم الآب ، والابن والروح القدس .

(القس يختفى ، بينما يهرول مايكل خارجا من غرفة الملابس .)

مايكل : حسنا – هل نحن جاهزون؟

سكنر : كيف الأعصاب ، الآن؟

مايكل : لن تخرج بهذه القبعة .

سكنر : لم لا .

مايكل : اخلع هذه القبعة .

سكنر : هل هى ستعكر صفو السلام؟

مايكل : ارجعها لمكانها ، يا سكنر .

سكنر : سأحتفظ بها . اعتقد انها . . . ودودة .
(يضبط زاوية القبعة .) كيف منظرها الآن ، ياليلى؟ (يبدأ يغنى ، يمسك ليللى من خصرها ، ويدور بها عدة مرات .)

سكنر : من أين لك بهذه القبعة ، من اين لك بهذه السترة الطويله؟
أليست فى غايه الأناقة ، وموديلها فى غاية الرشاقة؟
أحب أن يكون لى واحدة ، تماما ، مثلها .

ليللى : أووووبا !

سكنر : «أينما أذهب ، يصيحون» أهلا . ! «من أين لك بهذه القبعة» .

ليللى : ستجعلنى أتصرف بسخف ، مثلك ، يا سكنر .

سكنر : اللفة الأخيرة قبل الختام . هيا ، يا سادة ، من فضلكم .

---

(١) انجيل متى ٥ ، ٥

الدعوة الأخيرة. الدعوةالأخيرة. ماذا يسرك، يا سيد هيجارتى ؟

ليللى : هل رأيت ابننا توم؟ لقد وجد قدرا قديمة بين قضبان السكة الحديد، فى يوم من أيام الصيف الماضى، ووضعها على رأسه، على سبيل المزاح، بالضبط كهذا (سكنر). وهل رأسه لم تنتفخ من الحرارة، قسما بربى، انها انغرزت فيها لمدة يومين وليلتين. وكان لا بد أن ينام وهو منكفئ على الأرض ويد الماعون فى جحر فأر.

مايكل : الشئ الذى أذكره، اننا شاركنا فى مظاهرة سلمية، واذا كانوا سيتهموننا، فلا بد وأن يتهموا ستة آلاف غيرنا.

سكنر : كأس صغيرة سكوتش؟

مايكل : ولا شئ. الآن، اذا أرادوا أن يكونوا فضوليين، على فرض أنهم أخذوا أسماءنا وعناويننا، هذا كل ما فى سلطتهم أن يطلبوه. وهو كل ما يتوقع أن تعطوه لهم. هذا هو القانون.

سكنر : (يشرب كأسه) القانون. شخصيا، أنا نفسى رجل مؤيد جدا للقانون، عارف، مثل، لا شيء مثل القانون.

مايكل : اتفقنا، ياليللى؟ واذا طلبوا منك الادلاء بأقوالك، قولى لهم انك لن تدلى بأى أقوال الا فى حضور محاميك.

سكنر : محامى أنا فى برمودا. من هو محاميك، ياليللى؟

ليللى : لا تذكرهم أمامى، يا رجل. كلهم يكررون الاسطوانة المشروخة، قضيتك مضمونة. لا يمكن أن تخسر. وعندما تكون فى السجن، لا يتركونك تستريح حتى تستأنف الحكم.

سكنر : سبق أن دخلت السجن، ياليللى؟

ليللى : لا، وأنت؟

سكنر : ليس بعد.

مايكل : هلا استمعتما الى!

ليللى : ما الموضوع ، يا شاب؟

مايكل : ابعدا عن طول اللسان معهم ، ولن يسببا لكما أية متاعب. قمنا باحتجاج سلمي ، وهم يعرفون ذلك. لا يهمهم أشخاص من أمثالنا. همهم مطاردة مثيرى الشغب.

سكنر : يظنون اننا مسلحون.

مايكل : انهم يعرفون تمام المعرفة اننا غير مسلحين.

سكنر : ولماذا أحيط المكان بالدبابات والعربات المصفحة؟

مايكل : أنت جاهزة ، يا سيدتى ؟

سكنر : ولماذا الأسوار ملغمة بالجنود والبوليس ؟

مايكل : سننفذ طلباتهم بالضبط. ليس عندنا أي شيء نخفيه. سأخرج أنا أولا.

(ليللى تعب كأسها) .

ليللى : هل ترى هذا الشيرى ؟ سأكون منحازة جدا لهذا الشراب .

سكنر : هذا براندى .

مايكل : ولو وجهوا لكما سؤالا مباشرا ، فردا عليهم باجابة مباشرة ، واعدكما بأنه لن تقع أية متاعب .

ليللى : لازلت أعتقد ان هذه النوافذ ستكون ألطف بزجاج عادي .

مايكل : هذه (الأرواب) كانت فى الداخل ، أليس كذلك ؟

(يأخذها الى داخل غرفة الملابس. ليللى تتحرك نحو الحجرة ، وفجأة تمسك بظهر كرسى) .

ليللى : أنا شربت هذه الكأس بسرعة مهولة. ياربى ، أنا دخلت هنا وأنا أترنح ، والآن ، أخرج مترنحة. أتظن ان طبلة أذنى الداخلية التهبت؟

(يعود مايكل)

مايكل : هل نحن جاهزون ؟

ليللى : الساعة كم ، يا شاب ؟

مايكل : بعد الخامسة بقليل .

ليللى : عظيم .

مايكل : (لسكنر) اتفقنا ؟

ليللى : سأعود فى الوقت المناسب لتحضير العشاء .

مايكل : انا خارجان ، يا سكنر .

(سكنر يتحرك ببطء الى مقعد العمدة ، يجلس عليه ويمدد نفسه) .

سكنر : أنا أحب القعدة هنا . اعتقد انى سأبقى .

مايكل : حلفتك بالمسيح !

سكنر : اخرج انت .

مايكل : سنخرج كلنا ، مع بعض .

سكنر : لماذا .

مايكل : لأنهم سيظنون انها خدعة ، لو خرجنا متفرقين .

سكنر : لن يحدث ذلك لو نظرت اليهم بأدب ، وقدمت لهم اجابات مباشرة ، صادقة .

مايكل : سكنر ، هل ستأتى ؟

(فترة صمت . ثم فجأة ، يفتح سكنر درج المكتب بشدة . يسحب رزمة أوراق ، يبعثرها حول المكتب . يتحدث بسرعة كبيرة طيلة الوقت) .

سكنر : نعم– أنا قادم– بعد أن نعقد اجتماعا للمجلس– بعدها سأمشى ، ولكن لايمكن أن نقضى القيلولة ، نشرب نبيذ البلدية ، وندخن سجائر البلدية . ثم نخرج بدون اتخاذ الاجراءات المناسبة لاعمال البلدية الملحة– لا ، لا ، لا ، لا . هذا ليس من العدل . صح . بالضبط . نصابنا القانونى مكتمل؟ مكتمل . يا أعضاء المجلس– يا أعضاء المجلس التشريعي– كيف حالكم؟ تفضلوا بالجلوس . عندنا جدول

أعمال قصير اليوم ان كانت ذاكرتي مضبوطة .

(ليللى تجلس . بطريقة اعتذارية لمايكل) .

ليللى : يارلي ، أنا محتاجة لكرسي ، يا شاب . ٥ دقائق فقط . حتى تهدأ رأسي .

(سكنر يستمر في سرعة فائقة) .

سكنر : أمامكم تقرير عن اجتماع الاسبوع الماضي . أنا اعتبره تقريرا دقيقا لمحاضر الجلسات . تأذنون لي في توقيعه؟ اشكركم . والآن ، ننتقل الى جدول اعمال اليوم . بند ١ – طلب تبرع سنوى للجمعية الملكية للرفق بالحيوان – اقترح زيادة قيمة تبرعنا الى ١٠٠ جنيه . موافقون؟ موافقون . بند ٢ – جمعية أزهار ديرى وضواحيها تريد استخدام القاعة الرئيسية لمعرضهم السنوى للزهور . اقتراح مقبول . بند ٣ – عطاءات لدهان جميع مباني البلدية في المدينة – باللون الوردى اللميع ؟ لم لا ؟ العطاءات اجيزت . . .

ليللى : وردى لميع ! ها هههها ! هذا أنا !

سكنر : بند ٤ – دعوة موجهة لنا جميعا لحضور ليلة الافتتاح الفصلية لجمعية هواة الأوبرا ، ثم بوفيه عشاء بعد ذلك . طبعا ، سنلبيها . بكل سرور . بند ٥ – نادى رجبي ديرى لكرة القدم يطلب منحة من البلدية لشراء فدان اضافي من الأراضي المجاورة لملعبهم الحالي . الكل مؤيد؟ جميل . المنحة اجيزت . بالاجماع . عال . بند ٦ –

مايكل : هل ستأتى ، أم لا ؟

سكنر : النفقات التي صرفت على الوفد المنتخب ، أثناء رحلتنا الأخيرة الى كالكاتا ، لدراسة تطورات الطرق الرئيسية . اعتقد أننا جميعا ، استفدنا من هذه الزيارة ، أليس كذلك؟

مايكل : أنت !

سكنر : لذلك أقترح اقرار هذه النفقات. مؤيدون؟ جميل. جميل بند ٧-

مايكل : متى ستنتهى من الجعجعة هناك!

سكنر : ما الخطب، ياسيد هيجارتى؟، أأنت غير مهتم؟ باعتبارك واحدا من الـ ٩,٠٠٠ عاطل فى المدينة، ألا يهمك أن تقضى وقت فراغك فى جو لطيف بقدر الامكان، مع الحيوانات الأليفة، والزهور، والموسيقى، والمبانى المدهونة بألوان زاهية؟ ماذا يمكن أن تريد أكثر، ياسيد هيجارتى؟

مايكل : ولا شىء مما ترغب فيه، يا سكنر. لأريحك.

سكنر : بدون شك، ياسيد هيجارتى. ولكن الآن فرصتك لتجاهر برأيك، لتقدم تشريعا كاسحا، لتغير وجه الكون. هيا، ياسيد هيجارتى. صوت الـ ١٤٪ العاطلين. تكلم جهارا، يارجل، تكلم بصراحة. جائز ألا تتوفر لك هذه الفرصة مرة ثانية.

ليللى : أريد أن يمشى الرئيس أمامى.

سكنر : دقيقة واحدة، ياليللى. اللورد مايكل له حق الكلمة. راض. ياسيدى؟

(مايكل غاضب جدا. ولكنه يتحكم فى نفسه، ويتكلم بأسلوب منضبط.)

مايكل : ما اريده، يا سكنر، هو ما يريده الغالبية العظمى من الناس خارج هذا المكان، وهو شىء لا يفهمه سكير متشرد من أمثالك: وظيفة محترمة، مكان محترم للمعيشة، مدينة محترمة نربى فيها اطفالنا. هذا ما نريده.

ليللى : انت رجل عاقل، يا شاب.

سكنر : استمر، استمر.

مايكل : ونريد، أيضا الانصاف، بغض النظر عن مذهبنا الدينى،

بغض النظر عن انتماءاتنا السياسى ، فتكون لنا نفس الفرص ، ونفس الامكانيات المتوفرة للآخرين. هذا ليس بالشيء الكثير، يا سكنر. وسوف نحصل عليه. صدقنى ، سوف نحصل عليه ، لانه شيء من حق كل انسان ، ولن يمنعنا شيء من الحصول على حقوقنا.

ليللى : اسمع ، اسمع .

مايكل : والآن ، يا سكنر، قل لنا ما هى طلباتك. أنت ، أيضا جزء من ال ١٤٪. ماذا تريد؟

(العميد يدخل من جهة اليمين كالسابق. يحرسه ثلاثة جنود. يتكلم فى مكبر الصوت)

العميد : انتباه ! من فضلكم ! انتباه !

ليللى : سكوت ! اسمعا !

العميد : العميد جونسون. هانسبيرى يتكلم. سأمهلكم ٥ دقائق زيادة لتخرجوا. اكرر خمس دقائق. تضعون ، فورا ، أسلحتكم جانبا ، وتتقدمون الى المدخل الأمامى ، وأياديكم مرفوعة فوق رؤوسكم. مبنى الجيلد هول محاصر تماما. انصحكم بعدم الاقدام على ارتكاب أية حماقة. هذا تحذير أخير لكم. سأنتظر ٥ دقائق اخرى ، تبدأ الآن.

(ينصرف) .

(سكنر يرفع سيف التشريفة ، ينظر لمايكل للحظة. يذهب الى الصورة ، ويغرز السيف فيها. يستدير ويبتسم لمايكل.)

سكنر : انها صورة ، ليس الا. وسيف تشريفى.

(يظهر القاضى فى الشرفة المفرجة ، يدخل برفسور كابيلى من جهة اليمين.)

القاضى : بروفسور كابيلى ، أنت أجريت فحوصات على جثث المتوفين الثلاثة ؟

كابيلى : نعم ، ياسيادة القاضى.

القاضى : وتقريرك يوضح أن الثلاثة ، كلهم ، قتلوا بنيران بندقية اس ال . آر؟

كابيلى : نعم ، ياسيادة القاضى.

القاضى : هل يمكن أن تخبرنا شيئا عن هذا النوع من السلاح؟

كابيلى : انها بندقية سريعة الطلقات ، تستخدم طلقات من نوع ٧٫٦٢مم ؛ ومن وجهة نظرى ، فهى غير محكمة فى الاستعمال ، لانه اذا اصيب الضحية بعدة اصابات من مسافة قريبة ، فمن الصعب جدا تحديد الاصابات منفردة.

القاضى : هل يمكن أن تحلل لنا هذا الكلام؟

كابيلى : حسنا. رصاصة ال٧٫٦٢ سريعة جدا ، وهى تجد لنفسها منفذا مستقيما ، وصغيرا الى داخل الجسم ، ولا صعوبة فى هذا. ولكن بمجرد دخولها الجسم ، فان تأثيرها يكون شبيها بانفجار صغير ، من حيث أنها تشطر العظام ، وأنسجة الجسم ثم ، عند خروجها من الجسم - فى حال نفاذها - تسبب جرحا غائرا. وبخروجها تخرج معها جزيئات من العظم ، والانسجة ، مما يجعل الجرح غائراً بدرجة أكبر..

القاضى : فهمت. وتقريرك يبين أن المتوفين ماتوا نتيجة جروح بلغ مجموعها ٣٤ جرحا.

كابيلى : اعذرنى ، فى التصحيح لك ، يا سيادة القاضى. الذى قلته هو - الفقرة ٢ ، صفحة ٢ - اعتقد أننى أوضحت أن الرقم ٣٤ انما هو تقريبى.

القاضى : فهمت.

كابيلى : لأنه ، كما قلت ، صعب جدا ، مع طلقات اس . ال . آر - ، ان نحدد جروح الشخص ، اذا كانت متقاربة. ولكن فى حالة فيتزجيرالد ، كان هناك ٨ جروح من رصاصات متفرقة. فى

حالة المرأة دوهرتى – ١٣ . وفى حالة هيجارتى ١٢ أو ١٣ أو ١٤ ، لم أتمكن من التحديد.

القاضى : فهمت .

كابيلى : جروح فيتزجيرالد كانت فى الساق ، فى أسفل البطن ، وفى الصدر ، واليدين .

جروح دوهرتى كانت موزعة بالتساوى على الجسم كله – الرأس ، الظهر ، الصدر ، البطن ، والساقين . هيجارتى أصيب فى الساقين والذراعين – جرحان فى الساق اليسرى ، وجرح فى كل ذراع ، ولكن معظم جروحه كانت فى الرأس ، والرقبة ، والكتفين ، والتشويه الخطير فى منطقة مركزة كهذه ، جعل التحديد الدقيق يقوم ، تقريبا ، على التخمين .

القاضى : اعتقد أنه أصبح عندنا صورة واضحة بشكل معقول ، يابروفسور كابيلى . اشكرك .

كابيلى : شكرا .

(القاضى يختفى . كابيلى ينصرف من الجهة اليسرى . دودز يتقدم) .

دودز : فى كل أرجاء العالم ، تتسع الهوة بين الأغنياء والفقراء ، ولكي اعطي مثل هذا الكلام بعض التحديد ، دعونى أقدم لكم احصائيتين . فى أمريكا اللاتينية ١ ٪ من السكان يمتلك ٧٢ ٪ من الارض ، والغالبية العظمى من العمال الزراعيين لا يتقاضون أجورا على الاطلاق ، ولكنهم يحصلون على سلع . وفى بلدى أنا ، حيث الثراء الفاحش ، اغنى بلد في تاريخ الحضارة ، يعيش ٢٠٪ من السكان في فقر مدقع .

ولذلك ، يبرز سؤال : ماذا عن المستقبل ؟ ما هى الحلول التى يحبكها رجال الاقتصاد ، والسياسة ؟ حسنا ، ان الاجابة

على هذا السؤال تكمن فى وجود حلول كثيرة بقدر عدد اصحاب النظريات ، بداية من نظرية أن الفقراء تقع عليهم مسؤولية أوضاعهم ، وعليهم الارتفاع بمستواهم بجهودهم الذاتية ، انتهاء الى النظرية القائلة بأن نظام المشاريع الحرة بلا أي قيود ، لابد وأن يعاد تنظيمه البنيوى ، حتى يكون للكل نصيب متساو من الكعكة ، سواء ساهموا فى خبزها ، أم لا.

والى أن تحل هذه الخلافات ، فلا شيء له مغزى يأخذ مجراه لصالح الفقراء.

لمحيازات جديدة للقوى الدولية لا تؤثر عليهم. تغيير الحكومات لا يؤثر عليهم .حالهم لا يتبدل. اعدادهم تتزايد. يبعدون أكثر فأكثر عن المجتمع المسيطر. وضعهم يتسم بالقلق المتزايد. فى الحقيقة ، لا مستقبل لهم. لهم يومهم فحسب. واذا اخفقوا فى التوافق مع عالمهم اليومى ، فان الشئ الوحيد الأكيد الذى يتبقى لهم هو الموت.

(الثلاثة يبدأون فى تجهيز أنفسهم فى صمت. سكنر يرتدى حذاءه. ليلى تعيد الزهور الى آنية الزهور، والكؤوس الى الخزانة. مايكل يرتب الأشياء على المكتب (الأوراق ، الخ . . .) ويحاول نفض دخان السجائر من فوق جلد المكتب. كل لحظات المرح تنتهى. يتحركون كما لو كانوا غارقين فى تأمل عميق. مايكل يذهب ناحية الصورة ، ويمسك بالسيف.)

سكنر : لا تلمسه !

(مايكل ينظر اليه ، مندهشا من حدته ، ثم يهز كتفيه ، ويستدير. سكنر يبتسم.)

سكنر : أغفر لى هذه اللفتة.

(الكراسى عادت الى أماكنها. الغرفة أصبحت على الحالة التى كانت عليها وقت دخولهم.)

مايكل : هذاكل شيء. أنا خارج الآن.
ليللى : كلنا خارجون، ياشاب.
(ليللى تنظر حولها.)
ليللى : لم أر مكانا، أمشى منه بهذه السرعة.
مايكل : يبدو كما كان عليه.
ليللى : يمكن أن تأخذه.
سكنر : سجل كبار الزوار! لم نوقع فيه بعد! هيا يا ليللى!
ليللى : هل سنوقع؟
(سكنر يفتح الدفتر.)
سكنر : طبعا، سنوقع. أليست من عليه القوم مثل (يقرأ) الأدميرال هوارد اريكسون، بحرية الولايات المتحدة.
ليللى : لم أسمع عنه. ناولنا القلم. ماذا أكتب؟
سكنر : اسمك، لاغير. هناك.
ليللى : أبعد عن طريقى. أنا محتاجة لمكان لأكتب اليزابيث إم. دوهرتى.
سكنر : ما لزوم الـ «إم»
ليللى : اختصار مارى /جولد. ماذا أكتب هنا.
سكنر : أين.
ليللى : هناك. هذا الأحد ذهبنا الى بندوران ووقعنا جميعا فى دفتر الزوار فى الفندق الذى أخذنا فيه الشاى، وكلنا كتبنا – عارف – ملاحظات وأشياء عن الأكل، والجرسونات الحبوبين اللطاف، وكل شيء. بالنسبة للأكل، والله بالأمانة، يا سكنر، كان أحسن ما أكلته فى حياتى. اذكر انى كتبت ربنا يبارك فى الطباخ. ألم يكن هذا مناسبا؟
مايكل : ليللى.
ليللى : وهل رأيت كل الناس المقيمين هناك؟ تصاحبنا عليهم بشكل

غريب ، وتبادلنا معهم العناوين ، وما شابه . وبعد ذلك تباهيت للرئيس عن الخطابات التي ستصلني – ولم يصلني ولا كارت معايدة في الكريسماس من واحد منهم ! الناس يسببون لك الاحباط .

مايكل : ليللي .

ليللي : ماشية ، ياشاب . ماشية (اسكنر) انت ذكي . قل لي ماذا اكتب هنا . عارف شيء فخم .

سكنر : « الطابع فيكتوري [١] لكن القبو ممتاز » .

ليللي : أياً كان معنى هذا الكلام ، فبالتأكيد ، سيعرفون أنه ليس من عندي .

سكنر : « الديكور يمكن تحسينه ببط نحاسي ، وطلاء وردي لميع »

ليللي : ها هيها . لن يدعني أنسى ذلك .

مايكل : ليللي ، من فضلك .

ليللي : انتظر الآن – انتظر لحظة ... وجدتها ! « نتطلع لزيارة اخرى » . هذا هو – عارف – لطيف ويليق بسيدة .

سكنر : رائع ، ياسيد هيجارتي ؟

مايكل : لن ينتظروا أكثر من هذا .

سكنر : أنت فعلا من يجب أن يوقع .

ليللي : هاهي ! ليس فيها شيء يسيء الآن ، اليس كذلك ؟

سكنر : جميل .

ليللي : سيظنون أنني وقحة ، أليس كذلك؟ ماذا تكتب ؟

سكنر : اسمي

ليللي : ولكن هناك على الجنب .

سكنر : « رجل المدينة الحر » .

ليللي : طبعا ، هذا لا معنى له .

سكنر : أظن انك على حق ، ياليللي .

---

(١) نسبة الى العصر الفيكتوري .

مايكل : هل يمكن أن نذهب الآن ؟

ليللى : ياربى ، هل تمهلنى لحظة ، ياشاب؟ لابد أن –
(تندفع نحو غرفة الملابس)

مايكل : لأجل خاطر ربنا ، هل نمشى – !

ليللى : (من الداخل) ثانية واحدة ، ياشاب ، ثانية واحدة .

مايكل : قال ٥ دقائق . فما فائدة ان نغيظهم ؟

سكنر : أتثق فيهم ؟

مايكل : وأنت ، لا ؟

سكنر : لا .

مايكل : ألا تثق فى أى شخص ؟

سكنر : أنا لا أثق فيهم .

مايكل : هل تظن انهم سيضربونك ، يا سكنر؟

سكنر : ممكن .

مايكل : أو يطلقون عليك النار؟

سكنر : محتمل .

مايكل : أنت ، فعلا ، تعتقد انهم سيطلقون عليك النار! هذا فعلا ظنك !

سكنر : نعم . انهم أغبياء بما يكفى. ولكن طالما وجدوا أشخاصا مثلك يتسلون بهم ، فانهم يقدرون على ذلك .
(ليللى تعود .)

ليللى : هذا أحسن . كلنا جاهزون ؟

مايكل : هيا .

ليللى : انت تعرف أين أسكن ، ياشاب. لا تنس أن تحضر مع نورا لزيارتنا .

مايكل : وعـد .

ليللى : وانت لابد ان تزورنا فى أى وقت تحتاج فيه أكلة على الماشى .

سكنر : سأكون هناك عند دقة الساعة الواحدة كل يوم.
ليللى : لا داعى لان توجع دماغك. فقط لما يقرصك الجوع.
(لسير جوشيا) الى اللقاء ياسيد–
مايكل : سأتقدم أنا أولا.
ليللى : مع السلامة ، يا شاب.
مايكل : حظ سعيد ياليللى.
سكنر : أليس الواجب أن نخرج ، ونحن نغنى « سننتصر » ؟
مايكل : أنا احذرك ، ياسكنر !
سكنر : الا تثق بهم ؟

(مايكل يغادر قاعة الاستقبال ، يداه فوق رأسه.)

ليللى : ياربى ، أنا استمتعت بهذا. التهريج كان لطيفا. الم يكن التهريج لطيفا ، ياسكنر؟
(سكنر يومىء برأسه موافقا.)
ليللى : حظ سعيد ، يا ولدى.
سكنر : حظ سعيد ، يا ليللى.
(فترة صمت. على وشك أن يتصافحوا. ثم ينحنى سكنر للأمام ، ويقبلها فى جبهتها.)
ليللى : يا يسوع ، لم يحدث من وقت ان كان الرئيس يغازلنى ، ان.
(فترة صمت. ثم لكسر جمود اللحظة ، يضع سكنر يدية فوق رأسه ، ويغنى ، ويرقص.)
سكنر : لما كنت ما شى فى غابة بولونيا.
أغنى فى جو انفرادى...
مايكل : لأجل خاطر المسيح !
ليللى : هيا ! هيا ! نخرج من هذا المكان الملعون ! أنا كرهته من أول دقيقة التقت عيني به !

(ليللى تغادر قاعة الاستقبال ، يداها فوق رأسها ، سكنر يطفئ

النور، ويغلق الباب، ويلحق بها فى الممر. أيادى الثلاثة، جميعا، مرفوعة فوق رؤسهم. يبدأون فى التحرك ببطء شديد نحو المسرح السفلى فى مشية طقوسية. فى اللحظة التى يغلق فيها سكنر الباب، يملاء صوت الرعد القاعة.

الأرغن يعزف مارش النصر فى تناغم مرسل. الموسيقى تتوقف لمدة ١٥ ثانية تقريبا، ثم تخفت الى الخلفية، بينما ليام أوكيلى من «تلفزيون ايرلندا» يدخل من الجهة اليسرى، بميكرفون فى يده. يتكلم فى الميكرفون بلهجة هادئة ووقورة.)

اوكلى : انى اقف خارج كنيسة لونج تاور مباشرة. والآن، قداس الموتى المهيب، والذى يحييه الاساقفة الاربعة من ايرلندا الشمالية، يوشك على الانتهاء، بينما الارغن يعزف اجمل موسيقى باخ، أقوى مارشات النصر، وهى أكثرها موائمة، بشكل غريب، مقطوعة «المقدمة والفيوج» رقم ٥٥٢. ان السحب التى كانت تغطى هذا البرد القارس، ومدينة ديرى التى اكتسحتها الرياح فى هذا الصباح من فبراير، لم تعد قادرة على الصمود، ويقطر مطر ثلجى على كل آلاف المعزين الذين لم يتمكنوا من دخول الكنيسة، والذين ينتظرون هنا فى خشوع صامت على طول شوارع الجيتو الضيقة هذه.

ولكن رغم هطول المطر، فلا أحد يتحرك. لم يزالوا واقفين، كما وقفوا طوال الساعتين الماضيتين، ووجوههم الصابرة، الهزيلة، مصوبة تجاه باب الكنيسة؛ وبينما المرء يتطلع اليهم، فانه يتساءل متعجبا هل يمكن أن يمر هذا الحزن الهائل العميق، وقد حفر فى ذهن هذه المدينة القديمة، النبيلة، مدينة المعاناة، سانت كولمسايل.

والآن، تنفتح أبواب الكنيسة وتخرج طليعة الموكب الجنائزى. هذا بالتأكيد اكبر تجمع مؤثر للكنيسة وكبار رجالات

الدولة ، تشهده ابرشية لونج تاور، هذه المتواضعة. هناك الكاردينال كبير الاساقفة ، وهو منحني الرأس ، ويبدو متجهما ، ومرهقا ، طبعا ، لا بد ان يكون مرهقا ، لأنه طار من روما هذا الصباح فقط ليكون هنا اليوم. وبجواره ، أرى العقيد فولوى الذى يمثل رئيس جمهورية ايرلندا وخلفهما مباشرة ، أعضاء الهيئات ، والقيادات الروحية لكل مؤسسات وتنظيمات هذه البلده والآن ، رئيس الوزراء عارى الرأس ، يرفض برفق مظلة قدمها احد «القهرمانات». وعلى جانبيه قيادات حزبي المعارضة الرئيسة. بالطبع ، وقد علمت ان جميع نواب «الدايل»[1] ومجلس الشيوخ موجودون هنا اليوم. واذا حاول المرء ايجاد كلمة تصف الجو هنا اليوم ، ومغزى الحدث ، وموقف المواطنين العاديين ، اعتقد ان الكلمة المناسبة للوصف لابد وان تكون «مهيبا». والآن ، أول التوابيت. وحولي من كل جهة ، يرفع الرجال قبعاتهم ، وبعضهم يركع على الأرصفة المبللة. هذه رفات مايكل جوزيف هيجارتي. وخلفه مباشرة تابوت اليزابيث دوهرتي ، الأم لأحد عشر طفلا. واخيرا رفات ادريان فيتزمورس. عفوا ادريان فيتزجيرالد ، وهذا التابوت يحمله فرسان مالطة. وبينما يمر الموكب الجنائزى أمامي ، يتحرك الآلاف من على الأرصفه برفق الى الطريق ، ويأخذون أماكنهم فى هدوء بين المعزين. والآن ، انقلكم الى وحدتنا فى الجبانة.

(ينصرف. الموسيقى تتوقف فجأة. الآن ، مايكل ، وليللى ، يقفون عبر مقدمة المسرح ، ينظرون للأمام مباشرة. القاضي يظهر فى الشرفة المفرجة) .

القاضي: ان النتائج التى خرجت بها هى بايجاز على النحو التالى :

---

(١) مجلس العموم الايرلندي .

١ – ما كان لتحدث أية حالة وفاة فى لندن ديرى فى ١٠ فبراير، اذا كان الحظر المفروض على المسيرة والاجتماع ، قد احترم ، واذا لم يكن المتكلمون على المنصة قد قاموا باثارة الغوغاء نحو تلك الحمى التى ادت الى أن يصبح التصادم بين قوات الأمن والمتظاهرين أمرا حتميا .

٢ – ليس هناك دليل على تأييد الاتهام القائل بأن قوات الأمن قد تصرفت بدون ضبط النفس ، او أن قوة الاعتقال قد سلكت مسلكا تأديبيا .

٣ – ليس هناك من سبب لافتراض ان الجنود قد فتحوا النار، ما لم تكن النار قد اطلقت عليهم أولا .

٤ – لابد أن اقر بشهادة شهود العيان ، والعديد من الخبراء الفنيين بأن المتوفين الثلاثة كانوا مسلحين عندما ظهروا من داخل الجيلد هول ، وان اثنين منهم على الأقل – هيجارتى والمرأة دوهرتى – قد استخدما اسلحتها . وبالتالى ، فقد كان من المستحيل تنفيذ عملية الاعتقال . النتائج التفصيلية لهذه المحكمة ، سوف اسلمها ، الآن ، الى السلطات المختصة .

(المسرح بأكمله مظلم ، الآن ، فيما عدا مجموعة انوار كاشفة مسلطة على وجوه الثلاثة) :

فترة صمت .

ثم يملأ الجو صوت انطلاق النار، مدة ١٥ ثانية ، من بندقية اتوماتيكية . تتوقف . الثلاثة يقفون ، كالسابق ، محملقين للأمام ، أياديهم مرفوعة فوق رؤوسهم . (ظلام) .

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة



في هذا العدد

حرية المدينة
(١٩٧٣)

تأليف : براين فرايل (١٩٢٩) **ترجمة : خالد حسب ربه**

براين فرايل يعد واحدا من اشهر كتاب ايرلندا الشمالية في المسرح والقصة القصيرة. وقد عرضت مسرحيته «حرية المدينة» لأول مرة على مسرح الآبي في دبلن في فبراير ١٩٧٣ ونشرت في نفس العام، وتدور حول مسيرة للحقوق المدنية غير مصرح بها يتم تفريقها من قبل القوات البريطانية باستخدام الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي. ومع ان موضوع المسرحية يتعلق بقضايا تنبع من الصراع الحالي في ايرلندا الشمالية، الا ان المؤلف يخرج من المباشرة السياسية ليقدم لنا عملا مسرحيا ذا عناصر فنية بالدرجة الأولى. وحرية المدينة تعبر عن الوضع المتفجر في هذا الجزء من العالم من خلال التركيز على الوضع المعيشي لأولئك البشر الذين يعيشون في مجتمع (الجيتو) وخاصة ثلاث شخصيات تمثل غالبية معاناة قطاعات الحياة في بلدهم : فالأول يعاني من البطالة، ولايجد عملا يقتات به. والثاني لايعرف له اسرة، فيتجول من مكان الى آخر ضائعا. والثالثة امرأة فقيرة وام لاحد عشر طفلا وترعى زوجا مريضا، وتسكن في بيت حقير مكون من غرفتين. والمؤلف يعمم من خلال هذا التخصيص قضية هؤلاء لتصبح مشكلة كل ايرلندا الشمالية.